Lundi — 25 — 10 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

e No. 799

بدل الاشتراك عن

مصر
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٩ القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة

أول ما عرفت شـــوقى

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

عرفت شوقى عن عِيان سنة ١٩٢٧ فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه فى القاهرة. عرفنى به صديق الأستاذ محمد كرد على، وكان قد وفد فيمن وفدوا من أقطاب الأدب وأعيان العرب ليشاركوا مصر فى تكريم شاعر العربية العظيم؛ فذهبت إليه فى فندق الكنتنتال أزوره، فوجدته بالشرفة جالساً فى قلادة من أولى الفضل يتوسطها شوقى. فلما رآنى مقبلا هش لى ورفّ على، وقال لشوقى وهو يبتسم ويتهلل: هـذا هو الرجل الذى أنصفك! فلما استمانى الشاعر النابه عجب الأستاذ كرد على ألا يكون بيننا تعارف ونحن نعيش فى بلد واحد ونسير فى طريق واحد. وسمانى له، فتلقانى ببشره وشكره وأنسه. ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة سنتين كاملتين رحلت بعدهما إلى العراق. وفى أثناء مقامى ببغداد اصطفاه الله لجواره، فلم أره بعد ذلك إلا رؤيا، ولم أمثله إلا ذكرى!

كان الأستاذ كرد على بشير بانصافى لشوقى إلى مقال نشرته يومئذ فى العدد الخاص بتكريمه من (السياسة الأسبوعية) عنوانه (ما لشوقى وما عليه)؛ وكان أكثر ما كتب فى هذا العدد عن شوقى أقرب إلى النكير وأدنى إلى الجرح، فداخل شوقى ظنون من إخراج هذا العدد، وحك فى صدره أشياء من جهة هيكل؛ وأرهج بعض الناس بين الصديقين بالفساد حتى كاد أن تقع بينهما جفوة.

قال لى شوقى وقد أخذ بذراعى والقوم منصرفون: إنى أشكرك على نقدك وتقريظك على حد سواء، فان الحق فيما أخذت لى ظاهر، والعدل فيما أخذت على صريح. وإنى أسلم لك ماعددت من هفواتى وأرده إلى اختلاف الأثر بين عصرين وثقافتين وذوقين. وليس من السهل أن يتجرد الشاعر أو الكاتب جملة أو جزأة من عوامل الوراثة والدراسة والبيئة ولكن ما رأيك فيما كتب فلان وفلان؟ وهل كان من مقتضيات الحال أن تنشر مجلة صديق هيكل آراء خصومى فى عدد تكريمى؟ فقلت له: إن رئيس تحرير السياسة كاتب يعرف قيمة النقد، ويرعى حرمة الرأى؛ وقد طلب إلى طائفة من أعلام الأدب أن يدلوا بآرائهم فى الشاعر من غير تحديد لجهة، ولا تعيين لقصد، ليكون العدد الخاص على ما أعتقد دراسة فنية شاملة لنواحى الشاعر تتعارض فيها الآراء، وتتقارع فيها الحجج، فتتألف من هنا ومن هناك صورة تامة لفن الأمير تكون فى وسط هذا المهرجان تمثالا فيه الجمال والجلال، ولكن فيه كذلك الصفات الطبيعية الأخرى التى يريدها الخالق الكامل للمخلوق الناقص. فقال شوقى بصوته الخفيض وابتسامته الوديعة: يظهر أنك لا تقرأ ما بين السطور ولا تعرف ما وراء الستور. فقلت له: ربما!

ووقعت بنا سيارته على (كرمة ابن هانئ)، وكانت ليلتئذ تتلألأ بالنور والسرور، وتزدان بالزهور والحضور. فأصاب

القوم ما شاءوا من شهى الطعام وهنيء الشراب ، ثم تجمعوا زمراً فوق أرائك البهو وكراسي الردهة ، يستمعون إلى اللحن الناشئ والمغنى الحدث محمد عبد الوهاب وهو يغنى بصوته الرخيم الحانات « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » . وكان شوقى آنس الله وحشته يؤثرنى بالرعاية ويخصنى بالحديث ، شأنك مع الصديق الجديد والزائر المحتشم .

وفى أصيل اليوم التالى بعث إلىّ بسيارته الفخمة تحملنى إلى داره ؛ وكانت الدار حين دخلتها ساكنة كالصومعة ، رهيبة كالمعبد ؛ فمن رآها ليلة الأمس ثم رآها عصرية اليوم تذكر حال السكران الطافح ترنحه الخمر فيمربد ، ثم يهوّده الخمار فينام .

كان شوقى جالساً فى ركن من الشرفة ومعه على المائدة الصغيرة حافظ وعبد المطلب وحفنى محمود ، فلما أخذت موضعى من المجلس قال شوقى إنما دعانا على هذا الوضع من اختلاف السن والذوق والثقافة لنقرأ توقيته التى نظمها للمهرجان . وأخذ حافظ يقرأ القصيدة فنقف عند كل بيت ، ننظر فى سياقه وموسيقاه ، ثم نروّى فى معانيه وألفاظه ، فربما استبدلنا لفظاً بلفظ ، وآثرنا عبارة على عبارة ، وذوق الشاعر العبقرى من وراء أذواقنا جميعاً ، ينقد ويوازن ويفاضل ويختار ، حتى استوى القصيد على فنه الرفيع منضد اللفظ نقى المستشف . وأردنا بعد ذلك أن نسمع حافظاً ، يرد الله بالرحمة ثراه ، فاعتل بعلة لا أذكرها ؛ ولكنه رأى من خلال المناقشة تجانساً بين ذوقى وذوقه فسألنى أن أصحبه فى العودة . وفى قهوة بميدان الأوبرا كانت موضع ملهى (بديعة) اليوم ، جلست أنا وحافظ رأساً إلى رأس ، يقول فى شوقى وأسمع ، وينتثر فى النكات وأضحك ، حتى قال : سأنشدك قصيدتى لترى فيها رأيك . وأخذ شاعر النيل يقرأ لى عينيته المشهورة بصوته الفخم وإلقائه المعبر حتى فرغ منها ؛ ثم نظر إلى نظر المستفهم المطمئن المعجَب ، فقلت له : هنيئاً لك التصفيق الحاد والاستعادة المتكررة يا حافظ ! قصيدة شوقى للقراءة وقصيدتك للسماع ، ومعانيه للخاصة ومعانيك للجمهور ! فقال فى لهجته الساخرة الفكهة : وهل يعنينى غير الجمهور ؟

توالى اللقاء بينى وبين شوقى بعد ذلك اليوم ، مرة فى داره ، ومراراً فى (صولت) . وكان كلما أنشأ عبقرية من عبقرياته أقرأنى إياها ؛ وذلك شأنه فى جميع أطوار عمره : يعرض ما نقرض على الآذان التباينة والأذهان المتفاوتة ليعلم موقعه من كل ذوق ، وأثره فى كل نفس . وكان أشد ما يمكن الألفة بينى وبينه مشابه فى الطبع من فرط الحياء ، وحب العزلة ، وقلة الكلام ، والانقباض فى الندىّ الحافل ، والابتعاد عن الجمع الجامع ؛ فكأن كلاً منا كان يرى فى الآخر عزاء عن نقصه وعوضاً من حرمانه .

كان شوقى يرى كأكثر الناس أن الرجل إذا لم يعمل فى الحكومة كان أشبه بالمتشرد . لذلك كان قلقاً على من هذه الناحية ، فهو يستكبرنى على العمل الحر ، ويعجب ألا يكون لى مكان فى وزارة المعارف . ثم أخذ يسعى من وراء علمى لدى وزير المعارف على الشمسى باشا ويعهد لى السبيل للقائه . وفى ذات ليلة من ليالى قال لى ونحن فى ركن من أركان صولت : سأنتظرك غداً هنا فى الساعة الحادية عشرة ، فتعال ومعك مجموعة من كتبك لنزور وزير المعارف : فقلت له : وما شأنى بوزير المعارف ؟ فقال إنه يود أن يراك ، ولعل من الخير أن تراه . فلما دخلنا على الوزير فى الموعد الموقوت قدمنى وكتبى إليه ، فسلم الرجل تسليم البشاشة ، وشكر شكران الغبطة . وجرى فى حضرته حديث عنى استجاز شوقى فيه ما لا يجوز إلا للشاعر من المبالغة فى المدح والمجاملة فى الثناء . ولما خرجنا من عنده ربت على كتفى وقال وهو مبتهج : لقد وعدنى الوزير أن يضمك إلى الوزارة ! فقلت له ولم أدهش لأنى حزرت ذلك من قبل : ألهذا جشمت نفسك ياسيدى ونفسى ؟ حدّ الله مابينى وبين الحكومة ! لقد حاول هذه المحاولة منذ أربع سنين طاهر باشا نور وعبد الفتاح باشا سبرى فجذبت عنانى من يديهما ومضيت . وأراد صديق طه حسين وأستاذى لطفى السيد أن يدخلانى الجامعة منذ سنتين فلذت بالفرار بعد صدور القرار . أنا يا سيدى أستاذ فى الجامعة الأمريكية ، مرتبى ضخم ومكانى مرفوع ورأيى مسموع وحريتى مطلقة . فهل تأفى أن أدع الطريق الذى قطعت أكثره إلى طريق أبداه من جديد ، وأن أعمد إلى رجلىّ الطليقتين فأضعهما فى قيد من حديد ؟

ولكن شوقى الصديق الشفيق لم يرضه هذا المنطق ، فظل مشفقاً على من العمل الحر حتى رحلت عن هذا البلد ، فودعنى راضياً وما كنت أدرى والله أنه وداع الأبد !

(القاهرة) حسين الزيات

اليهودية=الصهيونية=الشيوعية

للأستاذ نقولا الحداد

سألني الأستاذ حكمت علي من بغداد عما إذا كان ثمت فرق بين اليهودية والصهيونية . . . أجل يا سيدي ، الصهيوني يهودي واليهودي صهيوني ولا فرق . وإنما استنبطوا كلمة صهيونية لقوم أفاقين جاءوا من الآفاق إلى فلسطين لكي ينشئوا دولة صهيونية ، أي يهودية ، أي إسرائيلية . وكلمة صهيون في الأصل كانت اسماً لجبل أو تل في الجنوب الغربي من مدينة أورشليم (القدس) ثم أطلقت على كل أورشليم عاصمة فلسطين .

وإنشاء مملكة يهودية أو إسرائيلية هو أمنية كل يهودي سواء أكان سامياً أم آرياً ... لما حكم فلسطين الولاة الرومانيون وخربوا هيكلها العظيم سنة ٧٠ ميلادية تشتت اليهود في العالم . والآن يحل محل ذلك الهيكل الذي لم يبق منه طال ، جامع قبة الصخرة . ولم يبق لليهود في أورشليم إلا جدار يبكون أمامه هيكلهم وماضيهم .

من ذلك الزمان إلى اليوم يتوق اليهود إلى مملكة فلسطين وإلى بناء هيكلهم فيها من جديد . أينما يكن اليهود يتمنوا هذه الأمنية ويبذلوا كل غال ورخيص في سبيلها . ولا يغرنك قول اليهودي إنه ليس صهيونياً ؛ فإنما يقوله للتمويه فقط ، إذ يخشى أن يتهم بأنه يخالف قوانين البلاد العربية في تحريم إرسال مال إلى الصهيونيين في تل أبيب . وهم يرسلون الأموال من أمريكا جهاراً ومن البلاد العربية سراً لهذا الغرض . وشفيق عدس الذي شنق في بغداد مثل من أمثلة الخونة الذين يهربون الأموال والمتاد إلى يهود فلسطين . فأينما رأيت يهودياً فقل إنه صهيوني ، وإنه يتحين الفرص لكي يعمل للصهيونية .

***

بقي على العرب أن يعلموا — إذا كان الإنكليز والأمريكان لا يعلمون — أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها ؛ لأن اليهود الذين قبلوا الحكم القيصري كانوا كلهم يهوذا ما عدا لنين . ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطردوا الأكليروس النصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا كلهم يدينون بدين كارل ماركس الاشتراكي ، فلم تعد تفرق بين اليهودي وغير اليهودي ، ولم تعد تعرف من هو اليهودي ومن هو المسلم . ولكن الذي كان في القلب بقي في القلب . وبقي اليهود يتحينون تلك الفرصة لكي يملكوا روسيا ولو بصفة كونها اشتراكية . ولكن ستالين فطن لمؤامرتهم التي كانوا يدبرونها لكي يقلبوا سلطته فأباد كثيرين منهم . ومن يعرفهم فلعل جروميكو وفيشنسكي منهم .

قد يظن بعض الناس أن اليهود لا يمكن أن يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين لأنهم رأسماليون ، والشيوعية نقيض الرأسمالية ؛ ولكن فليعلم من لم يعلم أن اليهود كالحرباء يتلونون بكل لون لكي يصلوا إلى أغراضهم . فيمكن اليهودي أن يكون رأسمالياً تارة واشتراكياً أخرى ؛ ويمكن أن يكون أرستقراطياً أو ديموقراطياً ويهودياً أو مسلماً أو نصرانياً . يمكن أن يكون أي شيء إذا كان يظفر بالسيطرة ؛ فإذا كان اليهود اشتراكيين ثم قبضوا على زمام الحكم الاشتراكي أو الشيوعي العالمي ، أفلا تصبح أموال العالم كلها في أيديهم ؟ — هذا ما يسعون إليه الآن ، وسيرى ستالين أو خلف ستالين أطال الله بقاءه أن الشيوعية صارت في قبضة الصهيونية . وحينئذ تصبح موسكو تحت سيطرة تل أبيب تتلقى أوامرها منها ؛ وحينئذ تصبح أوربا كلها وبعدها أمريكا شيوعية ، وكلها واقعة تحت سيطرة موسكو ، وبالتالي تحت سيطرة تل أبيب . وكل آت قريب .

فهل يعلم الأمريكان أنهم وهم يناهضون الشيوعية يخدمونها في تأييد دولة إسرائيل المزعومة ؟

نقولا الحداد

اطلب كتاب

دفاع عن البلاغة

صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ أنور المعداوي

أشكر الظروف الطيبة التي هيأت لنا أسباب اللقاء ، وتلك اللحظات الممتعة التي جمعت بيني وبينك حول مائدة الأدب والفن تحدثني وأحدثك ، وتصغي إلى وأصغي إليك ، ونغترف معاً من شتى الطعوم والألوان ...

ولقيتني لقاء الصديق للصديق ، وكأننا كنا على ميعاد . وأشهد لقد أكبرت فيك كثيراً من نواحي الشخصية الإنسانية ، تلك التي كنت أجهلها قبل أن ألقاك . ولقد قلت لنفسي بعد أول لقاء : ليتني قد عرفتك من قبل ، لتستقيم لي النظرة إلى فنك على هدى الخصائص الأصيلة في شخصيتك ... ومع ذلك قد هيأ لي هذا اللقاء أن أبلغ منتصف الطريق إلى الغاية ، وأن أكشف الغطاء عن كثير !

وكان لقاء آخر طويت فيه الطريق كله حتى بلغت منتهاه ، والفضل في ذلك منسوب إليك ؛ لأنك حدثتني عن نفسك وعن فنك حديثاً طويلا لمست فيه حرارة الصدق المنزه عن الأغراض .

لقد هاجمتك في الأيام الأخيرة مرة هنا ومرات هناك ، وعلى الرغم من هذا كله فقد شاء أدبك أن تشد على يدي ، وأن تثني على قلمي ، وأن تلقاني لقاء الصديق ... ويشهد الله أنني ما هاجمتك إلا لأنني أقدرك كل التقدير ، وأحمل لك في نفسي رصيداً مذخوراً من الذكريات الغالية . أنت في عالم القصة معدن نفيس ، ومن حقي أن أزيل بيد الناقد ما علق بالمعدن النفيس من غبار الحياة ...

هذا ما كنت أقوله لكل من يلقاني معاتباً على موقفي منك ، وكنت أزيد على ذلك قولي : لقد عودني توفيق الحكيم أن ألقاه في القمم ، فإذا ما هبط مرة عن مستواه ، فمن حقي أن أثور عليه لأرده بهذه الثورة إلى مكانه الطبيعي !

قلت لك هذا فقدرت الدافع وشكرت القصد ، وملأت نفسي إعجاباً برحابة صدرك وسماحة طبعك ، وتقبلت النقد بروح مثالية هي روح الفنان .

وخضنا أيها الصديق الكريم في حديث طويل خرج منه الأدب والفن بنصيب كبير ، وخرجت منه « أخبار اليوم » بتلك الكلمة القيمة التي كتبتها على أثر لقائنا وبوحي من نقاشنا حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ...

أما حديثنا ، فقد التقينا فيه حول الكثير ، وافترقنا حول القليل ، والفضل في ذلك أيضاً منسوب إليك ؛ لأنك حين رحت تقص علي كثيراً من المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، تلك التي يستجيب لها قلمك ويخضع لها فنك ، وضعت بين يدي كثيراً من الوثائق التي يحتاج إليها الناقد ، إذا ما أراد أن يقيم الميزان للعمل الفني مرتبطاً بشخصية صاحبه ، ومتصلا بأسباب النفس والحياة ... ومن هنا جاءت نظرة جديدة إلى فنك محل النظرة القديمة ، تلك التي لم يكن أمامها انتظار إليك غير طريق واحد ، كل معالمه سطور وكلمات !

ما قصدت من وراء هذا المقال إلى أن أسجل ما دار بيني وبينك من نقاش حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ، وحول أمور أخرى تطرق إليها الحديث ، لأنها تتصل بنقاشنا من قريب أو من بعيد ، إن لذلك كله مناسبة أخرى أرجو أن أعرض فيها لكثير مما اتفقنا أو اختلفنا عليه ...

كل ما أقصد إليه هو أن أكشف لقراء الرسالة عن ناحية من نواحي شخصيتك الأدبية والإنسانية تركت أثرها البعيد في نفسي ؛ ومن حقك علي أن أشير إليها في كثير من التقدير والإعجاب ، وهي دعوتك المخلصة إلى توثيق عرى الصداقة في الأدب ، وإيمانك العميق بجدوى الصفاء بين الأدباء ...

وأذكر أنك كتبت في هذا الموضوع مرة في (الرسالة) ، وتعرضت في سبيل تلك الغاية الكريمة لهجوم بعض أصحاب الظنون ممن لم يؤمنوا بصدق دعوتك !

أما أنا ، فقد لمست حرارة إخلاصك ونبل مقصدك في موقفين لن أنساهما لك : أولهما موقفك من الصديق النبيل صاحب (الرسالة) حين قلت فيه كلمة حق لا أدري لم غصت بها حلوق فلم تنطق بها شفاه ! وثانيهما موقفك من الدكتور طه حسين ، حين لم يجد كلمة عزاء تسيه وحشة الطريق وتنكر الصديق ؛ لقد وقفت وحدك لتصافحه بروحك من وراء الآماد والأبعاد ...

إنك بكلمتيك هذين قد أقمت الدليل على أن الدنيا ما زالت

مســـألة تاريخية

للدكتور جـــواد على

بهذا العنوان حرر الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى مقالة نشرها فى مجلة الثقافة (١) كانت بمثـــابة ردّ على ما كتبه « شمس الدين كون التاى » أحد الكتاب الأتراك فى مجلة « مجمع التاريخ التركى » التركية بمناسبة الاحتفال التذكارى الذى أقيم فى سنة ١٩٣٧ فى كابل وطهران واستانبول لمناسبة مرور تسعمائة عام على وفاة الفيلسوف الحكيم « ابن سينا » وقد تنازع على أصله الإيرانيون والأتراك والأفغان وكتبوا فى ذلك الكتب والمقالات . كل يدعى أنه منهم . ولم يتنازع الناس عليه يوم كان حياً ؛ ولكنها الدنيا لا تعرف قيم الأشخاص إلا بعد الوفاة

(١) عدد ٤٩٧ و ٤٩٨ تاريخ ٦ يولية سنة ١٩٤٨ و ١٣ يولية سنة ١٩٤٨ .

وقد تعرض الأستاذ « أبو خلدون » فى جملة ما تعرض له من نقاط إلى موضوع « الأتراك » وأثرهم الفقافى فى البصرة و « معبد الجهنى » وأثره فى « الجبر والاختيار » وعلم الكلام . فقد زعم « شمس الدين كون التاى » فى جملة ما زعمه أن « عبيد الله بن زياد الذى كان قد ولى على خراسان مأموراً للاستيلاء على ما وراء النهر فى عهد الخليفة معاوية كان قد أعجب إعجاباً شديداً بالثقافة العالية والمهارة العسكرية التى يتحلى بها أهل بخارى فانتخب من بينهم ألفى شاب من المهذبين المثقفين ، وأرسلهم إلى العراق بغية جعلهم معلمين للعرب وأسكنهم البصرة . وإن هـذه المعلومات التى ينقلها لنا أقدم مؤرخى الإسلام البلاذرى تحل اللغز الذى كان يكتنف مسألة منشأ الحركة الفكرية الأولى فى الإسلام » .

وقد تساءل هذا الكاتب التركى : لماذا نشأت هذه الحركة فى مدينة البصرة أولا ؟ فأجاب « لأن الذين أثاروا هذه الحركة الفكرية الأولى كانوا هؤلاء الشبان المنقولين من بخارى هم وأولادهم ، وإن الشخصيين اللذين كانا وضعا الحجر الأساسى فى

بخير ، وأن أصحاب الفضل ان يعدموا من يقول فيهم كلمة الحق ، ولو حال بينها وبين الجهر بها كثير من الدوافع والأغراض !

لقد كان حديثنا فى آخر لقاء يدور حول هـذا الموضوع لا يكاد ينأى عنه حتى يعود إليه ... ولقـد قلت لك فيما قلت : ليتنا يا صديقى نملك كثيراً من أمثالك ؛ أولئك الذين يحفظون عهد الصديق ، ويلتمسون سبل الخير ، وينشدون وجه الحق ، ولكن أين هم ؟ أين من يطلق رأياً كرأيك بكلمة صدق تقال فى الزيات ؟ وأين من يرفع صوتاً كصوتك بكلمة عزاء توجه إلى طه ؟ ! لقد انتظرت رجع الصدى لما كتبت ، فضاع الأمل وخاب الرجاء ! أما أنت فقد أخجلتنى حين قلت لى : يا أخى ، حسبى أنك تقف إلى جانبى ...

وحين رحت أقص عليك بعض ما أعلم وتعلم من جدوى الصداقة على الأدب ، متمثلا ببعض النماذج الإنسانية فى أدب العالم ، عقبت على ذلك بقولك : يا أخى ، إن الأدب الرفيع حق كله ، وخير كله ، وجمال كله ... فلم نشوه الحق بالبغضاء ، ونطمس الخير بالسخائم ، ونفرش طرق الجمال بالأحقاد ؟ ! إننا نقبل هذا فى دنيا السياسة ، لأن رجالها قوم مشدودون إلى الأرض ، ينظرون إلى يومهم وما فيه من أسلاب ، ولا يتطلعون إلى غدهم وما فيه من أمجاد !

أما فى دنيا الأدب ، فما أوسع الشقة وأبعد الفارق ، إن رجال الأدب قوم تربطهم بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ، وما أحرى المتصلين بالسماء أن يكونوا قدوة حسنة لهـذا الجيل الصاعد فى صفاء النفس ونقاء السريرة وشرف الغاية ...

ترى لو فقد الجيل الصاعد إيمانه بنا ، نحن الذين أقنا من أنفسنا هداة تدله على مواطن الخير وترشـده إلى معالم الطريق ، فماذا يبقى له ليؤمن به ؟ !

لو تحقق الصفاء فى الأدب لما أنكر حق من الحقوق ، ولما ضاع قدر من الأقدار ، ولما اختل فى تحديد القيم ميزان !

يا صديقى توفيق ، مرة أخرى أعود فأقول لك : ليتنا نملك كثيراً من أمثالك ، أولئك الذين يحفظون عهـد الصديق ، ويلتمسون سبل الخير ، وينشدون فيما يقولون وجه الحق .

أنور العطاوى

بناء المذهبين المتعارضين فى اللاهوت كان كلاهما من أهل ذلك القطر . إن معبد الجهنى الذى أسس المذهب القائل بحرية الإرادة البشرية كان قد ولد فى بلدة جهينة الكائنة فى نواحى جرجان وطبرستان ، كما أن جهم بن صفوان الذى أسس المذهب المعارض لذلك هو أيضاً كان تركياً من أهل بلخ وكان قد تقدم بآرائه هذه لأول مرة فى مدينة « ترمذ » من ديار الأتراك » .

ولقد لفت هذه الدعاوى نظر الأستاذ « ساطع الحصرى » — وهو من المحامين عن الثقافة العربية الذابين عنها — فراجع المصادر التى استند عليها « شمس الدين » فلم يجد فيها ما يشير إلى ما ذهب إليه هذا الكاتب من نقل المثقفين والعلماء الأتراك من طبرستان إلى البصرة لا تصريحاً ولا تلميحاً وإنما تحدث عن سبى من السبايا الذين نقلوا كالعادة من طبرستان إلى جنوب العراق . وبهذا دل المؤرخ التركى على أنه لم يكن يستند فى قوله هذا على أى سند أو دليل .

ثم عرج « ساطع الحصرى » على قضية « معبد الجهنى » ونسبته إلى الأتراك فاستعرض الآراء فى « جهينة » وفى نسبة « معبد » فيها ثم خرج من كل ذلك إلى أن « الجهنى » من « جهينة » القبيلة العربية المعروفة ؛ وقد استند فى نهاية حديثه إلى ما رواه السمعانى فى كتابه « الأنساب » حيث قال : الجهنى — هذه النسبة إلى جهينة وهى من قضاعة : نزلت الكوفة ومنها محلة ينسب إليها جماعة ... منهم معبد بن خالد الجهنى كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر . فسلك أهل البصرة بعده مسلكه فيها » .

وما كان الأستاذ — فى نظرى — بحاجة إلى إثبات أو نفى نسب « معبد » وتعيين منزلته فى العرب أو الأتراك . وفى القرآن الكريم والحديث النبوى ، وفى خطب الصحابة مثل خطب الإمام على المدونة فى نهج البلاغة ، وفى أسئلة الصحابة للرسول ، وفى الأسئلة الكثيرة التى كان يوجهها العراقيون إلى زعيمهم الإمام عن الحرب والفتنة ، أكان ذلك بعلم الله وقضائه وفى بحث التابعين فى هذه المواضيع قبل نشوء « معبد » وقبل نفوه « جهم ابن صفوان » زعيم « الجهمية » . نعم فى كل ذلك ما يغنى عن الرد على صاحب هذه المقالة . اللهم إذا رعم « شمس الدين » أن القرآن تركى وأن الرسول تركى وأن « الحديث النبوى » تركى بلغة « التاى » .

وقد أعادت هذه المقالة إلى ذهنى ذكريات « المؤتمر اللغوى التانى » الذى عقده الأتراك فى الأستانة بين ١٨ — ٢٣ آب والذى رأسه المرحوم « أتاتورك » وحضره ما يزيد على (٦٠٠) شخص من أرقى طبقات الأتراك كان من بينهم فخامة الرئيس الحالى « عصمت إينونو » وكاظم باشا رئيس المجلس الوطنى الكبير ورجب بك السكرتير العام لحزب الشعب .

وقد افتتح المؤتمر معالى وزير المعارف فى ذلك العهد فذكر أن الأمة التركية أقدم الأمم تمدناً وحضارة ، وأنها هى التى نقلت الحضارة من أواسط آسيا إلى أوربا الشرقية والشرق الأدنى ، فأصبحت سبباً فى تحضر الأمم الأخرى وتمدنها . وادعى أحمد جواد بك أحد أعضاء المؤتمر أن اللغات الهندية والجرمانية والسلافية واليونانية واللاتينية والقفقاسية والفنية (لغة فنلندة) هى من أصل يرجع إلى اللغة التركية القديمة المسماة لغة « التاى » وهى لغة الأتراك القديمة .

وتكلم عضو آخر هو « نعيم حازم بك » عن « علاقة اللغة السامية » فزعم أن المدنية التركية كانت بمثابة خميرة المدنيات العالمية ، وأن اللغة التركية كانت الأصل لجميع اللغات ، وأن الأقوام السامية إنما أصبحت ذوات لغات واسعة غنية باحتكاكها بالأتراك . وضرب مثلا على ذلك اللغة العربية فقال إن العرب كانوا قد استمدوا كثيراً من الكلمات من اللغة التركية تصرفوا بها وعربوها وسقلوها فى جاهليتهم وفى أيام إسلامهم ، وجاء بأحد عشر قاعدة فى كيفية أخذ العرب قديماً للكلمات التركية وتعريبهم لها . وذكر أمثلة على هذه القواعد .

وأيد هذه النظرية لغوى آخر هو « يوسف ضياء بك » نائب اسكيشهر إذ بحث عن الكلمات التى انتقلت من لغة « التاى » أى اللغة التركية القديمة إلى اللغات السامية ولغة العرب على الأخص .

وساقت العاطفة بعضهم إلى الادعاء بوجود علاقات قوية بين لهجة « سايا » فى السكسيك ولغة الأتراك وطلبوا لذلك الاهتمام بدراسة هذه اللغة ودراسة لغة أخرى تشبهها هى لغة « تولتك » لمعرفة أنساب الأتراك والحصول على كلمات تركية

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان سيرهما نصير الدين الطوسي في براعة العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام في ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضـــياء الدخيلي

يقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) الذي نشرته مجلة « المقتطف » : إن نصير الدين الطوسي أحد الأفذاذ القليلين الذين ظهروا في القرن السادس للهجرة، وأحد حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان وهو من الذين اشتهروا بلقب (علامة) . ولد في بلدة طوس سنة ٥٩٧هـ الموافقة ١٢٠١م ودرس العلم على كمال الدين بن يونس الموصلي (١) وعين المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي (٢) ، وكان يتنقل بين قهستان وبغداد وتوفي سنة ٦٨٢ هـ ببغداد حيث دفن في مشهد الكاظم .

(١) صالح زكي — آثار باقية — مجلد ١ ص ١٧٨

(٢) محمد بن شاكر — فوات الوفيات مجلد ٢ ص ١٤٩

ويقال إن الطوسي نظم قصيدة مدح فيها الخليفة العباسي ، وإن أحد الوزراء رأى فيها ما ينافي مصلحته الخاصة فأرسل إلى حاكم قهستان يخبره بضرورة مراقبته — وهكذا كان — فإنه لم يمض زمن إلا والطوسي في قلعة الموت ، حيث بقي فيها إلى مجيء هولاكو في منتصف القرن السابع للهجرة . وفي هذه القلعة أنجز أكثر تآليفه في العلوم الرياضية التي خلدته وجعلته علما بين العلماء . (وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه ...) (١) وقد عهد إليه هولاكو مراقبة أوقاف جميع الممالك التي استولى عليها .

عرف الطوسي كيف يستغل الفرص فقد أنفق معظم الأموال التي كانت تحت تصرفه في شراء الكتب النادرة وبناء مرصد مراغة الذي بدىء في تأسيسه سنة ٦٥٧ هـ . وقد اشتهر هذا المرصد بآلاته وبمقدرة راصديه . أما آلاته فمنها (ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل . والدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب)(٢) وأما عن راصديه فقد قال الطوسي:

(١) محمد بن شاكر — فوات الوفيات — مجلد ٢ ص ١٤٩

(٢) فوات الوفيات — مجلد ٢ ص ١٥١

منسية من جهة أخرى .

وبعد فإني أعتقد أنك بعد أن وقفت على هذه الآراء الرسمية المجملة التي أخذتها من المحضر الرسمي للمؤتمر سوف لا ترى في مزاعم « شمس الدين » شيئاً كثيراً بالنسبة إلى تلك المزاعم .

ظن أولئك الذين أرادوا إحياء الأمة التركية أن الإحياء يكون عن طريق التبجح بالماضي والتباهي بالأجداد والترفع عن الشعوب الشرقية التي ساهمت في تكوين التاريخ التركي ، وطرد الكلمات العربية والفارسية التي تمثل التفاعل العقلي بين الأتراك وبين العرب والفرس ، والاستعاضة عن تلك الكلمات بكلمات فرنسية ، فلم يزدهم ذلك في نظر الغربيين منزلة ، ولم تخرجهم تلك المقالات الطويلة المريضة من عالم التفكير الشرقي ، ولم يجعلهم التاريخ الذي ادعوه لهم أمة من الأمم المعظمة التي لها في مجلس الأمن وفي المجالس الدولية كرسي ثابت وصوت مسموع .

لا زالت تركية الحديثة التي ظن زعماؤها أنها ستأخذ مكانها تحت الشمس بابتعادها عن العرب والشرق الأدنى ، لا زالت في نظر الغربيين تركية القديمة لا يحسب لها حساب إلا عند النظر في كفة الميزان وفي أهميتها من حيث أنها بقرة حلوب يستفاد منها ؛ لأن المنزلة لا تأتي عن طريقة التبجح بالأجداد وبأمجاد الأجداد وبالابتعاد عن الناس والانضمام إلى السباع إذا لم تكن لديه قوة السباع . والذي يتكل على الماضي ويترك الحاضر ولا يعمل له ، يهمله الزمان ويتركه يعيش في عالم الماضي . فلنعمل بعقلية الحاضر ولنجعل أنفسنا أقوياء حقاً ، أقوياء في تفكيرنا وفي صناعتنا وفي معاملنا والتقدم على علوم الطبيعة التي استبدلت بالحديد الذرة ، حينئذ يقول العالم أنهم عقلاء وأنهم ناس وأن لهم شأناً بين الناس ، وحينئذ يقول العالم إن تاريخهم كان خير تاريخ وأنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

(دمشق) جواد علي

« ... إنى جمعت ابناء المرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضى من دمشق والفخر الراغى كان بالموصل والفخر الخلاطى الذى كان بتفليس والنجم دبيران القزوينى وقد ابتدأنا فى بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة ... » ويروى كتاب آثار باقية أن محيى الدين المغربى كان أيضاً أحد أعضاء لجنة المرصد ، وكيفية مجيئه هى أن هولاكو لما استولى على حلب مقر حكومة الملك الناصر سمع رجلا يصيح أنا منجم ، فأمر بالإبقاء عليه وبإرساله إلى مراغة حيث يقيم نصير الدين .

أما المكتبة التى أنشأها فى المرصد فقد كانت عظيمة جداً أكثرها منهوب من بغداد والشام والجزيرة ، ويقدر ما كان فيها بـ ٤٠٠٠٠٠ مجلد مكتوبة باليد . ونصير الدين من الذين كتبوا فى المثلثات والهيئة والجبر وإنشاء الاسطرلابات وكيفية استعمالها

ومراغة التى أقام بها الطوسى المرصد والمكتبة يحدثنا عنها ياقوت الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) فى المعجم أنها بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان طولها ٧٣½ درجة وعرضها ٣٧½ درجة ؛ قالوا وكانت المراغة تدعى « افرازهرود » فعسكر مروان بن محمد بن الحكم وهو والى أرمينية وأذربيجان فى منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرجين (زبل) كثير ، فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها ، فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة ، وهذه قرية المراغة فحذف الناس القرية وقالوا مراغة ، وكان أهلها قد لجأوا إلى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها وعمروها . ثم إنها صودرت مع ما صودر من ضياع بنى أمية وصارت لبعض بنات الرشيد . فلما عاث الوجناء بن رواد الأزدى وأفسد وولى خزيمة بن خازم أرمينية وأذربيجان فى خلافة الرشيد بنى سورها وحصنها ومصرها وأنزل بها جنداً كثيفاً . فلما ظهر بابك الخرمى لجأ الناس إليها فنزلوها فكدوها وتحصنوا فيها ، ورم سورها فى أيام المأمون عدة من عماله ، ثم نزل الناس ربضها (فى المنجد الربض على وزن الذهب هو ما حول المدينة من بيوت ومساكن وهو أيضاً سور المدينة) . وينسب إلى المراغة جماعة من المحدثين والفقهاء وبها آثار ومدارس وخانقاوات حسنة ، وقد كان فيها أدباء ومحدثون وفقهاء [1] وقد ابتنى الطوسى (كما يحدثنا ابن شاكر فى فوات الوفيات ، وقد توفى عام ٧٦٤ هـ أى بعد وفاة الطوسى باثنين وتسعين عاماً) بمراغة قبة ورصداً عظيما (واتخذ فى ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة وجعل له الأوقاف [2] .

وكما يحدثنا ابن الفوطى فى كتابه « الحوادث الجامعة » أن الطوسى استمر مدى حياته يجمع لمكتبة المراغة الكتب ، فقد نقل أن الطوسى ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذى وضعه بمراغة عام ٦٥٧ هـ وعين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتجز سنة ٦٧٢ (راجع حوادث سنة ٦٥٧ من كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى) [3]

وابن الفوطى هذا هو أمين مكتبة مراغة . قال العزاوى فى كتابه (العراق بين احتلالين) نقلا عن شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى : إن ابن الفوطى صاحب الكتاب المعروف « الحوادث الجامعة » أسر فى واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف وزير الملاحدة فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع فى الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم واشتغل على غيره فى اللغة والأدب حتى برع ومهر فى التاريخ والشعر وأيام الناس ، وأقام بمراغة مدة ولى بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بها بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه [4] . وفى الوقت الذى يثنى فيه بعض المؤرخين على جهود الطوسى فى جمع تلك الكتب من التلف ولم شتاتها فى مكتبة مراغة كما ترى العزاوى يقول فى ترجمة الطوسى ص ٢٧٨

---

(١) معجم البلدان الجزء ٨ ص ٤

(٢) فوات الوفيات وفى الوافى بالوفيات للصفدى أيضاً

(٣) الحوادث الجامعة لابن الفوطى أمين مكتبة مراغة وفى كتاب العراق بين الاحتلالين للعزاوى

(٤) العراق بين احتلالين للعزاوى وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .

وهنا نقول إن أعمال هـذا الرجل مصروفة إلى مناصرة العلماء والحكماء وأنه حينما ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ تصفح أحوال بغداد ونظر أمر الوقوف والبحث عن الإجناد والمماليك ، وفى هذه المرة جمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذى وضعه بمراغة [١] فهـا أنت تراه يشايع ابن الفوطى فى أن تكوين مكتبة مراغة ورفع قواعدها وجمع الكتب لها كان من عمل الطوسى وأن تلك المؤسسة وليدة رغبته فى تشييد بيوت العلم ؛ إلا أن الأستاذ محمد كرد على فى كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ج ١ ص ٣٠٢ بعد أن يعرض مأساة سقوط بغداد بصورة مؤلمة ويستعرض نهب نفائس دار الخلافة العباسية يذكر من ذلك نهب مكتبات بغداد وغيرها قال : « وبينما كانت فى هـذا الشرق القريب كتلة صغيرة تدفع الصليبيين عن سرة بلاد الإسلام مصر والشام فتخرب مدن وحصون وتهدك معالم وجوامع كان جنكيز يخرب فى أواسط آسيا بلاد المسلمين . ولم تتكد تدفع الشام عنها عادية الحروب الصليبية حتى جاء هولاكو بغداد يخربها ويقتل الخليفة المستعصم ويقضى على جلة الفقهاء ورجال الدولة يضع السيف فى دار السلام أربعين يوماً ويستخرج الأموال والتحف بأنواع العذاب ويحرق معظم تلك المدينة الساحرة وزادت عـدة القتلى عن ثمانمائة ألف عدا الأطفال ومن هلكوا فى السراديب والقنى والآبار وأحرق قبور الخلفاء ونبش عظامهم وبنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن . وقيل إن ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق ، وقيل إنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة هذا عدا ما نهب من البلاد التى احتلها فملأ فى (مراغة) خزانة عظيمة من الأسفار نهبها من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيهـا زيادة على أربعمائة ألف مجلد [٢]

أما عن المرصد فإن محمد باقر الخونسارى فى كتابه (روضات الجنات) يحدث نقلا عن كتاب (محبوب القلوب) لقطب الدين الأشكورى وعن صاحب (مجالس المؤمنين) إن هولاكو خان بعد أن تغلب على الخلافة العباسية ببغداد أمر بالرصد واختار محروسة مراغة فى أعمال تبريز لبناء المرصد فرصد فيه ، واستنبط الطوسى عدة من الآلات الرصدية ، وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة أرسل إليهم المالك هولاكو خان ، منهم العلامة قطب الدين محمود الشيرازى صاحب شرح الأشراف والكليات وهو فاضل حسن الخلق والسيرة مبرز فى جميع أجزاء الحكمة محقق مدقق مفيد ومستفيد فى صحبة الطوسى ، ومنهم مؤيد الدين العرضى الدمشقى وكان متبحراً فى الهندسة وآلات الرصد توفى بمراغة فجأة سنة ٦٠٤ ، وفخر الدين وكان طبيباً فاضلا ، حاذقاً ونجم الدين القزوينى وكان فاضلا فى الحكمة والكلام ، ومحيى الدين الخلاطى وكان فاضلا مهندساً متبحراً فى العلوم الرياضية ، ومحيى الدين المغربى وكان مهندساً فاضلا فى العلوم ، وضبطوا حركات الكواكب ، ومات المحقق الخواجه نصير الدين وبان النقص فى كتاب الزيج وانقصهم عن ذلك لم يتموه [١] وقد أضاف إليهم عباس بن محمد رضا القمى فى كتابه (الكنى والألقاب) نجم الدين الكاتب البغدادى قال وكان فاضلا فى أجزاء الرياضى والهندسة وعلم الرصد [٢]

ونقل ابن شاكر فى فوات الوفيات وصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى فى الوافى بالوفيات (ج ١ ص ١١٢) قال شمس الدين الجزرى (وفى الوافى أنه الجزرى) قال حسن ابن أحمد الحكيم صاحبنا سافرت إلى مراغة وتفرجت فى الرصد ومتوليه صدر الدين على بن الخواجة نصير الدين الطوسى وكان شاباً فاضلا فى التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين ابن المؤيد العرضى وشمس الدين الشروانى والشيخ كمال الدين الأيكى وحسام الدين الشامى فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب وإسطرلابا يكون سمة قطره ذراعا وإسطرلابات كثيرة وكتباً كثيرة .

وأخبرنى شمس الدين العرضى أن نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هـذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن

(١) الفراوى (٢) الإسلام والحضارة العربية

(١) روضات الجنات .
(٢) الكنى والألقاب .

طرائف من العصر المملوكي :

البردة وأثرها فى الأدب العربى

للأســـتاذ محمود رزق سليم

البردة هى القصيدة البارعة المشهورة التى نظمها شرف الدين البوصيرى المتوفى عام ٦٩٥ هـ فى مدح النبي عليه الصلاة السلام . وقد ولد البوصيرى عام ٦٠٨ هـ فى « دلاص » ، ونزح منها صغيراً مع أمه إلى « بوصير » ، وكلتا القريتين من بنى سويف . وقد نسب البوصيرى إليهما مما فقيل له « الدلاصيرى » ولكنه اشتهر بالبوصيرى وأهل الإسكندرية الآن يقولون : « الأباصيرى » .

وقد عاش البوصيرى متكسباً بالكتابة فى دواوين الدولة ، متنقلا فيها من مدينة إلى أخرى وعانى فى هذه الدواوين كثيراً من عنت كتابها ورؤسائها . وقد سجل ألواناً من فسادهم فى إحدى قصائده ، فأصبحت بذلك ذات قيمة تاريخية ثمينة .

وكان بالبوصيرى ميل إلى النسك والزهد ، ويبدو أن هذا الميل هو الذى أغرى به رؤساءه فنموه أحياناً مرتبه . وقد كانت خاتمة مطافه بالإسكندرية حيث مات ودفن ، وبها قبره ومسجده الشهير .

والبوصيرى من أصل مغربى ، يمت إلى صنهاجة إحدى القبائل البربرية بالمغرب الأقصى ولكنه مصرى المولد والإقامة . وقد قرض الشعر حتى عد من مشهورى شعراء مصر فى القرن السابع الهجرى . ولم يكسب هذه الشهرة من لفظ رائع أو أسلوب بارع أو معان يلفتك جمال صورتها ، ويأسرك رونق جدتها ؛ ولكنه كسبها من خصوصيات ومزايا تدرت نظائرها فى غيره من الشعراء ... كتسجيلاته الشعرية لبعض حوادث عصره ، وصوره الاجتماعية .

الجوامك (المرتبات) والرواتب التى للحكماء والقومة [1] (يقصد القائمين على الأمر والقيم على الأمر هو متوليه كقيم الوقف ونحوه) .

وإن هذه الزيارة التى قام بها حسن بن أحمد الحكيم لا شك فى أنها كانت بعد وفاة الطوسى وتولى شئون الرصد ابنه صدر الدين وكذلك بعد وفاة مؤيد الدين العرضى وأخذ مكانه من قبل ابنه شمس الدين كما سنبين ذلك عند نقل ما ترجمته أنا من كتاب جورج سارتون (المقدمة إلى تاريخ العلوم) ولنصغ إلى الطوسى نفسه يحدثنا عن الرصد فقد قال فى كتابه (الزيج الايلخانى) إننى جمعت لبناء المرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضى من دمشق والفخر المراغى كان بالموصل والفخر الخلاطى الذى كان بقليس والنجم دبيران القزوينى وقد ابتدأنا فى بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة والأرصاد التى بقيت قبلى وعليها كان الاعتماد دون غيرها هى رصد أبرخس وله مذ بنى (١٤٠٠) سنة وبعده رصد بطليموس بـ (٢٨٥) سنة وبعده فى ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله (٤٣٠) سنة والرصد البتانى فى حدود الشام والرصد الحاكمى بمصر ورصد بنى الأعلم ببغداد ولها (٢٥٠) سنة .

وقال الأستاذون إن إرصاد الكواكب لا تتم فى أقل من ثلاثين سنة لأن فيها تتم دورة هذه السبعة (الكواكب) فقال هولاكو أجهد فى أن رصد هذه السبعة يتم فى اثنتى عشرة سنة قلت اجتهدت فى ذلك [1] .

قال ابن شاكر وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام ببغداد مدة ومات وخلف ثلاثة أولاد [2] .

وقد نقل العزاوى فى كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) فى الملحق ناقلا عن كتاب تركى (إسلامده تاريخ ومؤرخلر) إن الطوسى حين ورود هلاكو إيران اتصل بعلماء الصين وأنه يأمر من هولاكو اقتبس الزيج الايلخانى من عالم صينى جاء إلى إيران يدعى (تومبجى) وكان قد استفاد منه كثيراً مما يتعلق بقواعد النجوم فكان بينهما تبادل علمى واتصال وثيق [3] .

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الرفيلى

---

(١) فوات الوفيات والوافى بالوفيات

(١) الزيج الايلخانى للطوسى

(٢) ابن شاكر والصفدى . (٣) اسلامده .

والبردة إحدى هذه الخصوصيات . فإن تلك الصوفية التي بدت فيها وفي غيرها من مدائحه النبوية ، أثر من آثار الحياة الروحية التي نزع إليها بعض الناس في هذا العصر امتداداً لنظيرتها في العصر الأيوبي الذي عاش فيه ابن الفارض الشاعر المتصوف المشهور . وقد كانت تلك الحياة بمثابة رد فعل لما انتشر بين المسلمين من مفاسد كثيرة . غير أن ابن الفارض اتجه بشعره إلى الغزل الإلهي ، بينما انصرف البوصيري إلى الغزل النبوي . فبردته بما فيها من وجد وحنين ولهفة وشوق ، ودموع وذكر ديار ، أقرب إلى باب الغزل منها إلى باب المديح أو الشعر الديني . وهذا هو الفن الشعري الجديد الذي ولده البوصيري في الشعر العربي ، فكان بذلك فذاً بين شعراء المديح النبوي من لدن الأعشى وكعب وحسان ومن بعدهم .

ونزعة الحب التي نلمسها في نفس البوصيري تفسر لنا في يسر وسهولة تلك الأوصاف التي نشهدها في ثنايا البردة وغيرها ، يقدس بها الرسول ، ويضفي عليه هالات من السمو ، وبخاصة إذا قرن اسم الكريم باسم غيره من أنبياء وملائكة ، وقد يعيبها عليه بعض النقاد ويعتبرونها مبالغات لا داعي إليها ، بينما هي في قرارة نفس الشاعر ، أضيق الألفاظ وأيسر الأساليب التي تعبر عما فيها من إحساس صادق وشعور دافق ، هو وليد الحب الخالص الصراح الذي لا شائبة فيه . فقدسية المحبوب والتسامي به ، أبسط مظاهر الحب الصادق .

لم يكن البوصيري — فيما أعتقد — شاعراً طماعا إلى الشهرة يسعى إليها عن طريق شعره . ولذلك لم يتكسب به ، ولم يسع إلى باب من أبواب الرؤساء . وكذلك لم يكن يعنيه أن يكون شعره جيداً بديع النظام رائع الأسلوب ، بقدر ما كان يعنيه أن يكون صدى لما في نفسه ، ورجعاً لهجسات فؤاده . فأغلب شعره شعر شخصي يسجل خواطر الشاعر وأحاسيسه النفسية . وقد خرج البوصيري مرة عن طبيعته ، فنظم قصيدة غزلية وروى حكاية له مع جارية حسناء ، فدل ما فيها من الغزل السادج وحيله البدائية ، على أن الرجل مقلد في غزله ، وأن الغزل ليس أصيلا في نفسه . — أما غزله النبوي وبخاصة في البردة ، فإن شخصيته تبدو فيه ناطقة وثابة في كل بيت . فالبردة منظومة نفسية جاشت بها نفس الشاعر في الباطن ، وعلق عليها آمالا ، قبل أن يتحرك بها لسانه ويجنح إليها في الظاهر . — وهذا أيضاً يفسر لنا الرؤى التي رآها البوصيري وأصحابه ، متصلة بهذه القصيدة ونظمها ، وتفسر لنا المعنوية الجارفة التي استطاع بها هذا الرجل أن يعالج نفسه من فالجه الذي أصابه . فإنه لما حار في علاجه فكر في نظم قصيدة نبوية ، يستشفع بها الله أن يعافيه . فنظمها وكرر إنشادها ثم بكى ودعا وتوسل ونام ، فرأى النبي عليه الصلاة السلام في نومه مسح بيده المباركة على مكان دائه ، وألقى عليه « بردة » فانتبه من نومه وفيه نهضة وأحس بالشفاء .

ونحن لا نرتاب في صحة الأحاديث النبوية المتصلة برؤيته الشريفة ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال : « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ، ومن رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وبعد فهل كان البوصيري كاذباً في دعوى الرؤيا ؟ هذه مسألة يخشى من ينصف نفسه أن يجازف بالحكم فيها على غير ظاهرها ، وبخاصة أن البوصيري يعلم أن من كذب على النبي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ليس هناك ما يمنع البوصيري من أن يرى النبي في نومه ، وليس هناك كذلك ما يمنع من أن يشفى من فالجه بسبب قصيدته ؛ وقصيدة البردة — وبعضهم يسميها البرءة — لا تشفي ولا تبرىء من سقم . فالله سبحانه وحده واهب البرء والشفاء . ولكن إذا أخلص مريض النية ، واتجه إلى الله بقلب مؤمن ودعاه واستشفع بالنبي عليه السلام ، أو بتلاوة القرآن ، أو قراءة البردة أو نحوها ، فليس هناك ما يمنع أن الله يستجيب الدعاء . والمريض في حاجة قصوى إلى مثل هذه المعنوية يعين بها طبيبه على علاجه .

وأطلق لفظ « البردة » على قصيدة البوصيري ، لما لابس نظمها والاستشفاع بها من ذكر بردة النبي عليه السلام . وقد روى أن الصاحب بهاء الدين بن حنا — وكان صديقاً للبوصيري — إحتفظ بنسخة من القصيدة لديه . ثم أصيب سعد الدين الفارقي برمد أشرف منه على العمى ، فرأى في المنام هاتفاً يدعوه إلى

الصاحب بهاء الدين ليأخذ منه « البر[illegible]ها على عينيه فيشفى بإذن الله ، فذهب إلى الصاحب وطلب منه « البردة » ، فقال له الصاحب «ما أعرف عندى من أثر النبي صلى الله عليه وسلم بردة » . ثم تذكر قصيدة البوصيرى ، فقال لعلها المراد بالبردة ، وأعطاه إياه . ومن ثم سميت القصيدة بالبردة .

وبعد ، فأبيات البردة نحو مائة وستين بيتاً . وهى أجود مدائح البوصيرى وأسلسها أسلوباً وأرقاها عبارة وأكثرها رونقا ، وأجمعها أغراضاً وأروعها أمثالا وأوفرها معانى تنشدها العامة وتكرر إنشادها فى مناسبات كثيرة تيمنا بذكر ممدوحها ، ومن شأن التكرار فى مثل هذه المناسبات أن يعقب الملل ، ويورث النفور ، ويبعث على الابتذال ، ومع ذلك لا تزال القصيدة محبوبة أثيرة عند العارفين .

وقد تناول الشاعر فيها — فضلا عن ذكر الديار والأحبة ووصف الشوق والحنين ، والنزوع الصوفى والدعوة إلى الزهد والتحذير من الهوى إلى غير ذلك — موضوعات السيرة النبوية وما امتاز به الرسول الكريم من عظيم الصفات ، وهذه الموضوعات منثورة فى كتب السيرة ، فليس للشاعر هنا فضل ابتكار ، وإنما فضله فى نظمها هذا النظم السائغ حتى انحدرت إلى الأسماع جميلة الإيقاع ، ورددها اللسان رائعة الألحان . وقد زودها الشاعر ببعض الحلى البديعة التى لا يمل وسواسها ولا يثقل جرسها .

قال فى المطلع :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقـــاء كاظمة وأومض البرق فى الظلمـــاء من اضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وقال فى التحذير من هوى النفس :

وخالف النفس والشـــيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهـــم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقد تناول الحديث عن « النفس » فى عدة أبيات تصلح للدراسة النفسية ، يتناول فيها الدارس مسألة الغرائز وتربيتها ، والعادات وتكوينها ، بما لا يقل فى جملته عن الدراسات النفسية الحديثة . ومن هذه الأبيات قوله عن النفس بعد أبيات عن الشيب :

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم
فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ومن أبياته فى وصف الرسول عليه السلام قوله :

ظلت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من ســـغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وبعد ، فإن الحديث لا يتسع لإيراد أبيات هذه القصيدة الفريدة ، التى كان نظمها فتحاً مبيناً فى الأدب العربى ، أفاء عليه ثروة لولاه ما فتحت مغالق كنوزها . لا نغلو فى ذلك ولا نبالغ . والحق أن البردة بحاجة إلى رسالة مستقلة تتحدث عنها وعن أثرها ، وقد تناولها الدكتور النابه زكى مبارك بالحديث فى كتابه الممتع « المدائح النبوية » ؛ ولكن إذا علمنا أن البردة قد وضعت لها شروح عدة ، وعورضت ، وشطرت ، وخمست ، وسبعت ، ووضعت شروح أخرى لكثير من هذه المنظومات الناشئة عنها ، علمنا أى ولوع ذلك الذى انتاب الشعراء والكتاب بالبردة من لدن عهد البوصيرى إلى عهد أمير الشعراء شوقى بك ، وعلمنا أى إيجاز مخل ذلك الذى نتوخاه هنا فى هذه العجالة ونحن نتصدى للحديث عن أثر البردة فى الأدب العربى .

وفى دار الكتب المصرية ، ودور الكتب فى الأقاليم ، وفى كشف الظنون وكتب التراجم وتاريخ آداب العربية لجورجى زيدان ، وفى غير ذلك من المظان إشارات إلى مؤلفات شعرية ونثرية ، كانت البردة سماء وحيها ومتنزل إلهامها . وهى فى انتظار البحث وترقب التمحيص . ولا تتناهى البردة فى هذا الفتح قصيدة أخرى .

وفى الحق أن بعض القصائد العربية حظيت بنصيب من مثل هذه العناية فشرحت أو عورضت أو نحو ذلك ، مثل «بانت سعاد»

ولامية العجم ، ولامية ابن الوردى . ولكن لم تبلغ إحداها شأو البردة ، ولا شقت غبارها . — ونذكر هنا بعض هذه المؤلفات على سبيل المثال والاستدلال . منوهين قبل ذكرها ، بأن هذا الفن الشعرى الجديد — وهو الغزل النبوى — قد سرت روحه فى كثير من شعراء المديح النبوى بعد البوصيرى ، بل فى جميع الشعراء ، وقد قضى نهجه الجديد على نهج من تقدمه من شعراء هذا المديح ، وتأثر به — بلا ريب — ابن نباتة وابن حجر وغيرهما فى نبويّاتهم . هذا وممن شرح البردة : الشيخ الباجورى المتوفى (١١٩٨ هـ) وحاشيته مشهورة ، والشيخ خالد الأزهرى المتوفى (٩٠٥ هـ) ، ومن شراحها الجلال المحلى المتوفى (٨١٤هـ) وشمس الدين بن الصائغ (٧٧٦ هـ) وزين الدين زكريا الأنصارى (٩٢٦ هـ) وشهاب الدين الأقفهسى المعروف بابن العماد (٨٠٨هـ) وعلاء الدين مصنفك (٧٧٥ هـ) وشهاب الدين القسطلانى (٩٢٣ هـ) وأبو عبد الله المرزوقى المغربى (٧٨١ هـ) .

وقد عارض البردة كثيرون ، ومن أبرزهم فى العصر الحديث : البلوردى فى قصيدته « كشف الغمة » وهى فى نحو ٤٥٠ بيتاً ، وشوقى فى قصيدته « نهج البردة » . — ومن أبرزهم فى العصر المملوكى وما بعده أيضاً ، أصحاب البديعيات . والقصيدة البديعية — كما نعتقد — منظومة عارض بها ناظمها بردة البوصيرى ، فالتزم بحرها ورويها وغرضها . على أن هذا الغرض — وهو المديح النبوى — ليس الهدف الأول من المعارضة ، وإنما إيراد الأنواع البديعية هو الهدف الأول المقصود .

أما المديح فقد كان من أهم الشعبيات التى جذبت أصحاب البديعيات إلى النهج البوصيرى والنظم على نمط البردة . وقد التزموا أن يضمنوا كل بيت من أبيات البديعية ضربا من ضروب البديع ، وزاد عز الدين الموصلى هذا الالتزام بأن التزم التورية بكلمة ما عن اسم الضرب البديعى المضمن . فأصبحت قيود البديعية خمسة ، غير أن القيد الخامس لم يلتزمه كثير من البديعيين . وفى الوقت نفسه نرى أبياتا فى بديعية عز الدين اقتصر فيها على التورية باسم النوع البديعى دون ذكر مثاله .

وقد نظم بعض الأدباء فيما بعد ، بديعيات لم يلتزموا فيها بحر البردة ورويها وغرضها ، وهذا فى رأينا انحراف عن الشروط الأولى للبديعية ، وخروج بها عن جادتها الأصلية .

ومن أصحاب البديعيات : صفى الدين الحلى (٧٥٠ هـ) ، وابن جابر الأندلسى الضرير (٧٨٠هـ) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) وتقى الدين بن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) وشرف الدين بن المقرى اليمنى (٨٣٧ هـ) وتاج الدين بن عربشاه (٩٠١ هـ) والجلال السيوطى (٩١١ هـ) وعائشة الباعونية (٩٣٠ هـ) ولها بديعيتان وعبد الغنى النابلسى (١١٤٣ هـ) وله بديعيتان أيضاً .

ومبتكر فن البديعيات ، صفى الدين الحلى ، وقد صرح بذلك فى مقدمة بديعيته ، وروى رؤيا ذات شبه برؤيا البوصيرى ، وذلك أنه عرته علة طالت مدتها واشتدت شدتها ، فرأى النبى عليه الصلاة والسلام فى نومه ، يتقاضاه المدح ويعده البرء . فنظم على إثر ذلك بديعيته . ومن يقرأ ديوان الحلى يشعر أن الرجل قد طاع له من البديع ذهبه ، ولان حديده ، فاستطاع أن يبتدع فى صوغه حلى قل أن يجاريه فى صوغها شاعر .

وهذا مما يؤيد دعواه فى ابتكار فن البديعيات . — على أن الدكتور زكى مبارك فى كتابه «المدائح النبوية» رأى أن مبتكر هذا الفن هو ابن جابر الأندلسى ، ولم يقم وزناً لهذه النزعة البديعية الجارفة التى طغت على نفس صفى الدين ودعته إلى التجديد فى البديع ، ولا لسبقه ابن جابر فى الوفاة بنحو ثلاثين عاماً . وقد عقب على ما ذهب إليه الدكتور ، زميلنا الفاضل الأستاذ أحمد موسى المدرس فى كلية اللغة العربية ، فكتب فصلا ممتعاً عن البديعيات ، فى رسالته الشائقة « الصبغ البديعى » . وقد كشف كشفاً فى هذا الموضوع له خطره ؛ إذ وجد أن الشاعر أمين الدين السليمانى الأربلى المتوفى عام ٦٧٠ هـ ، قد نظم قصيدة غزلية فى ستة وثلاثين بيتاً ، فى كل بيت منها نوع بديعى . وعزز الأستاذ كشفه بما رواه ابن معصوم المتوفى عام ١١٢٠ هـ شرحاً على بديعيته من « أنه كان يظن أن صفى الدين أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب حتى وقف على قصيدة أمين الدين السليمانى » .

ورأى الأستاذ أن أمين الدين المذكور هو مبتكر فن البديعيات . — على أنى أعتقد أن المسألة لا تزال عند موقفها

الأول ، وأن كفة صفى الدين لا تزال الراجحة . وأن الفارق بين أمين الدين وصفى الدين فى ابتكار فن البديعيات ، كالفارق بين زهير وأبى تمام أو المتنبى فى ابتكار الحكمة ، وأنت ترى صفى الدين فى مقدمة بديعيته يقول إنها نتيجة لدراسة سنين كتاباً فى فن البديع .

وبعد ، فأى خطر للبديعيات ، حتى نعنى بها كل هذه العناية ؟ البديعيات — على أى حال — فن شعرى جديد فى حينه بلغت به النزعة البديعية قمتها شعراً ، كما بلغتها بالعامات نثرا .

هذا إلى أن البديعيات نمط من شعر العلوم والفنون ، لم يطرق قبل هذا العصر . ومنزلة البديعية فى علم البديع ، كمنزلة ألفية ابن مالك — مثلا — فى علمى النحو والصرف . — هذا إلى أن كثيراً من البديعيات وضعت لها شروح قيمة فأضافت بذلك ثروة جديدة إلى علوم البلاغة والأدب ، ومن أجل شروحها « خزانة الأدب » لتقى الدين بن حجة الحموى .

هذا . وقد شطر البردة كثير من الأدباء . منهم فى عصرنا الحديث : عبد العزيز باشا محمد ، ومحمد بك فرغلى . ومنهم الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى (١٣١٦هـ) والشيخ أحمد بن عبدالوهاب الجرجاوى (١٢٥٤ هـ) وأحمد بن عثمان العواجى الزبيرى ، فرغ من تشطيره عام (١٢٠١ هـ) والشيخ أحمد الحفظى اليمنى — كان حياً عام ١٢٩٣ هـ — .

وخمسها بعض الأدباء ومنهم محمد بك فرغلى ، ومنهم زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى (٨٠٨ هـ) ومجد الدين اسماعيل الكنانى القاهرى (٨٠٢ هـ) وبرهان الدين البهنسى (٨٤٦ هـ) وفتح الدين بن الشهيد (٧٩٣ هـ) وزين الدين القرشى (٨٢٨هـ) وشمس الدين محمد الفيومى — لعله من أدباء القرن التاسع — وعبد الرحيم السيوطى المالكى الجرجاوى توفى بعد عام (١٣٢٠هـ) . وفى دار الكتب المصرية مجموعة خطية بها تسعة وستون تخميسا من بينها تخميس لابن حجة الحموى . ومجموعة أخرى خطية بها ثلاثون تخميسا .

وسبعها بعض الأدباء ، ومنهم الشيخ محمد اللطى المصرى الحلوتى ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى . وقد التزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ « محمد » والقاضى ناصر الدين البيضاوى (٦٩٦ هـ) والتزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ الجلالة .

وهناك شك فى نسبة هذا التسبيع إلى البيضاوى ، فقد نسب إليه مرة ، ونسب إلى الأمير عثمان بك ؟ مرة ، ونسب إلى شهاب الدين أحمد بن عبد الله المالكى المكى مرة أخرى . وقد قرأت هذا التسبيع نفسه فى دار الكتب بالصورة منسوباً إلى أديب اسمه صلاح الدين أحمد بن محمد الرفاء الدمشقى ، وهو بها مخطوط (رقم ١١٠٢ أدب) . فمسألة هذا التسبيع تحتاج إلى شىء من التحقيق .

وبعد ، فها نحن أولاء نرى من حديثنا الوجيز عن البردة أنها استطاعت وحدها أن تنشىء دولة أدبية كبرى لها جنودها وعتادها . وأن هذه الدولة كانت ذات صولة فى العصر المملوكى . ثم أخذ ظلها يتقلص شيئاً فشيئاً ، حتى كادت أحداث العصر الحديث الجارفة تمحى آثارها وتطمس أخبارها .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

اطلب الكتب الآتية

من إدارة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

١ ـ وحى الرسالة
فى مجلدين
ثمن كل مجلد ٤٠ قرش

٢ ـ دفاع عن البلاغة
ثمنه ١٥ قرش

٣ ـ آلام فرتر
ثمنه ٤٠ قرش

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

— ٤ —

لم يعد للشعر في العصر الحديث ما كان له في العصور القديمة من سيطرة وقوة وإيحاء، ولم يصبح — كما كان — مرآة صادقة تظهر فيها حياة الأمم، وتخلد فيها مآثرها ومثالبها. ولئن كنا نستطيع أن نستخرج من الشعر الجاهلي — مثلا — صورة صادقة لحياة العرب في باديتهم فنرى فيها مضارب خيامهم، ومعامع حروبهم، وأسراب ظبائهم ونسائهم ونعمهم وشائهم تضطرب في صحرائهم إلى غير ذلك مما حفلت به حياتهم، واصطبغت به معيشتهم، لئن كان ذلك في مقدورنا فإننا لا نستطيع أن ندعي أن أمة من الأمم الحديثة كان شعرها (ديوان حياتها)، ولذلك أسباب كثيرة تختلف باختلاف الأمم.

ولاشك أن من الأسباب القوية في هذا الشأن قصور الشعراء وتقصيرهم، وإن كان ذلك لا يرضي بعض المدارس الحديثة التي ترى أن الشاعر لم يخلق ليكون حاكياً لأحوال المجتمع، وإنما خلق ليرسم للناس صورة نفسه، فالشاعر الذي يودع شعره الأحداث السياسية والاجتماعية ليس بشاعر، إذ أن الشاعر لم يخلق ليكون واعظاً أو مرشداً للجماعات، وإنما خلق — زعموا — للفن وحده، وليرسم نفسه بهذا الفن البديع، فيتحدث عن أفراحها وآلامها، وعن عواطفها ورغباتها، وقد كان لهذا المذهب أثره القوي في ناشئة الشعراء، فرأيناهم لا يكادون يتعدون دائرة خواطرهم الضيقة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فزوروا على أنفسهم، فأخذوا يتوجون وهم يضحكون، ويشببون تشبيباً عذرياً وهم في اللذات غارقون، وهكذا أرادوا أن يصدقوا فكذبوا، وهربوا من تصوير حياة الجماعة فصوروا أنفسهم مشوهة!.

لهذا ولأسباب أخر فقد الشعر مكانته، ولم يستطع أن يكون سجلا لحياة الجماعة، نستطيع أن نقول هذا في الشعر المصري، ونستطيع أن نقوله في الشعر العراقي، ونستطيع أن نقوله في شعراء الشام والحجاز، ونستطيع أن نقوله في الشعر السوداني، وإن كان هروب الشعراء السودانيين من حياة المجتمع أوضح، وربما اعتذر الشعراء الذين عاشوا في أوائل هذا القرن عن تخلفهم بقول الشاعر:

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت، ولكن الرماح أجرت

ولكن ما عذر هؤلاء الشعراء الذين رأوا رماح قومهم تنطق الأخرس، حتى هذه الرماح التي أجرت كان على الشعراء أن يبكوها، وأن يستوضحوها، كما يقول أحدهم.

أنظر إلى السودان إن به شبابا ناهضين قعد الزمان بهم وما هم بالشباب القاعدين

غير أن الذي يعزينا أن الشعر العامي لا يزال يحتفظ بقوته في هذا المعنى، فلو هيء لباحث أن يدرس الشعر العامي وأن يتبين اتجاهاته لظفر بشيء كثير من صور الحياة التي يحياها هؤلاء. ولقد اطلعت على شيء من شعر السودان العامي فرأيت فيه تصويراً دقيقاً لبعض ما يكتنف القوم، وخيل إلي أني لو استطعت أن أظفر بمجموعة من هذا الشعر لتمكنت أن أنقل عنها كل مظاهر الحياة في الريف السوداني.

أما الشعر المعرب فالبون شاسع بينه وبين ما تضطرب به الحياة من شتى المظاهر والاتجاهات ولاسيما في أوائل هذا القرن، فإن الشعراء الذين عاشوا منذ ثلاثين سنة حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة جداً أكثرها احتذاء للشعر القديم في أغراضه، ولكن حين تقدم الزمن، وبدت مظاهر النهضة تأخذ طريقها إلى الحياة، وكانت بقية من هؤلاء الشعراء لا تزال تنعم بنسائم السودان البليلة الرخية، وتشرب من ماء النيل العظيم، لم تجد هذه البقية بداً من أن تشارك ناشئة الشعراء في الحديث عن هذه المظاهر، وإن بقيت من ناحية الأسلوب والمعنى وكثير من الأغراض متشبثة بأذيال القديم. والدارس يلاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا يصلون إلى هذه الأغراض بطرق ملتوية، فكانوا يتخذون المناسبات الدينية والمدائح النبوية سلماً إلى ما يريدون، فينفسون بذلك عن بعض الرغبات المكبوتة في نفوسهم، وإن بقيت أقلامهم مجفلة عن تصوير المجتمع، بل منهم من كان يرى أنه من غير اللائق أن يتحدث الشاعر عن مثالب قومه، ثم تقدم الزمن خطوة أخرى فرأينا الشعراء يدخلون المجتمع من باب أوسع فيتناولونه من نواح كثيرة، أرهفوا آذانهم، وفتحوا أعينهم، لما يحدث أمامهم من خير وشر، فصوروا بعضاً وأمسكوا عن بعض

وكان للتعليم نصيب كبير من عنايتهم ، فلا تفتح مدرسة ، ولا يتخرج فوج جديد من كلية حديثة ، ولا تنشأ فرقة تمثيل إلا قالوا ، وهنأوا البلاد ، وتمنوا لها الخير والتقدم ، كما كان للغة العربية قدر وفير من اهتمامهم ، وكذلك ألمحوا إلماحات خفيفة إلى بعض ما يسيطر على العقول من خرافات . وهنا أعتب على شعراء الأمصار عتباً شديداً ، وأرى أنهم أغضوا عن تقاليد غير طيبة كان يجب أن يحاربوها كما حاربتها الحكومة ، وكما حاربتها الأذواق السليمة ، وأهمس فى أذن الشاعر الصالح الشيخ عبد الله عبد الرحمن الذى يقول :

سأبلغ جهدى فى القصائد حرة ... على أن جهد الشعر فى الشعب شائم
فروض أؤديها وشكوى أبثها ... وما أنا ذو بأس وما أنا طامع

والذى يقول :

خذوها بنى أمى قوافى عاتب ... عليكم بها (لا عن جفاء ولا صد)
قوافٍ ألقاها من الوحى صادقاً ... وأرسلها من حيث تجدى ولا تجدى

أهمس فى أذنه كيف فاته أن يؤدى فروض الشعر فى هذه التقاليد ، وكيف لم يرسلها دون أن ينظر أتجدى أو لا تجدى ؟ وأين جهده الذى بلغه فى هذا الذى أشير إليه ؟ كما بلغ جهده فى نواح أخرى كثيرة .

أليس بعجيب أن يقف الشعراء على الشاطىء ، ويجفلوا عن الخوض فى أمور هى القذى فى الأعين ، والشجى فى الحلوق .

بعد هذا نريد أن نستخرج بعض مظاهر للمجتمع السودانى من دواوين الشعراء ، وأنا أحصر طرفى هنا فى ديوانين اثنين ، وبعض مقطوعات أخرى ، وأنا مضطر لهذا ، فمن جهة لم يهيأ لى أن أحصل على كل الدواوين التى خرجت ، والشعراء لم يساعدونى بإرسال شىء من أشعارهم منذ بدأت أكتب هذا البحث ؛ ومن جهة أخرى لم أجد فيما اطلعت عليه من شعر ما يعينى فى هذه الناحية إلا هذان الديوانان ، فالأول ديوان (الطبيعة) للشاعر حمزة الملك ، نلمس فيه صوراً صادقة ، من ذلك صورة (الحاوى) وقد التفت حوله الناس تخدع أبصارهم ، بل خدع الشاعر نفسه حيث يقول :

قد رأيت المحال رأى عيان ... ليس فى حاجة إلى برهان
رجل كالرجال جاء بمـــا يـ ... ـعجز عن فعله بنو الإنسان
يأمر الســـامر بالوقوف فينصـ ... ـاع ، وإن شاء لج فى الجريان
بضع الشىء فى يديك فتلقـ ... ـاه على الرغم منك فى يدتان

وبعد أن يعدد ألاعيب أخرى من فعل الحاوى ، وهى كلها غريبة عجيبة يقول :

هذر ما نراه أم هو جـــد ... ومن الناس أم من الشيطان ؟
زعموا أنه الخداع ولكن ... كيف فى الشىء تخدع العينان ؟

ثم ينتقل بعد كل هذا طفرة واحدة ، فيسوق إليك حجة على أن للكون إلهاً فيقول :

أيها الملحدون هذى أمور ... من صنيع الجهال والغلمان
علموها فإن قدرتم فقولوا ... إنه لا إله للأكوان

ونترك هذه الصورة لنأخذ فى صورة أخرى حيرت الشاعر أيضاً ، ولعبث بلبه ، وانتهى أمره فيها إلى أن يبقى فى حيرته ، تلك هى صورة صاحبة (الودع) ، (فأم عباس) قد أنبأته بالغيب وقد وقع ما انبأته به ، وقد كان ينكر عليها أن تعرف شيئاً من عالم المستقبل ، فراهنها ، ونذر لها نذراً ، ولكنها فازت بالرهان ، واستحقت النذر ، غير أن للشاعر عقلا لا يخضع لهذه الترهات ، وهكذا يحاربين عقله ، وبين الواقع الملموس :

أرت أم عبـــاس أعجوبة ... تضل كبير الحجى (بالودع)
وما أم عبـــاس إلا عجـ ... ـوز تشق بها نزعة للورع
تجادل أن أنا جادلتها ... كمن هو فى فنه قد برع
وتحلف إن لم أنل ما ترى ... فليست تعود (لخط الودع)
فواعجبى كيف تنبـــأتها ... وديعاتهـــا بأمور تقع
وواعجبى كيف فى عصرنا ... تصح الخرافات فى المجتمع
وإن كنت صدقتها ما ادعته ... فمـــا أنا إلا لعقلى تبع
أمور أرى بعض أسرارها ... ن صدقاً به من رآه اقتنع
أصـــدق منها صحيحاتها ... وليست تجوز على الخدع
ولكن من الحق أن نترك الـ ... ـبـاب مشابهة للبـــدع

وهكذا لا يصل الشاعر إلى قول فصل فى هذا الموضوع ، فيبقى فى ظلام دامس يخبط بمة ويسرة ، ولا يهتدى .

ويتحدث هذا الشاعر عن نماذج بشرية رآها فى حياته ، ثم فتى كالذئب باسم السن يظهر الإخلاص ويسر الغدر ، ومن شيخ شاب فى اللؤم ، وحرم زوجه يألف طلاق ولكنه لا يزال يعاشرها ، ومن رجل يظهر فى زى النساء ويفخر بالقوام

الرشيق ، والخد الأسيل ، ومن دعى موفل فى كبره ، يدعى الجود وهو سليل بيت البخل والشح ، ومن جاهل يدعى العلم ، وما هو إلا بيناء تهرف بما لا تعرف ، ثم ينتهى به المطاف إلى أن يقول :

تخير كل منهم أن له ألف وجه بين صبح ومساء

وفى قصائده (سافرة) و (لقيط) و (سأم قائل) و (زميل) صور ناطقة فى المجتمع .

أما الديوان الآخر فهو (الفجر الصادق) للشيخ عبد الله عبد الرحمن ، والحق أن صاحب هذا الديوان من المخضرمين فهو يأخذ خير ما فى المدرسة القديمة ، ويتناول أشياء كثيرة من المدرسة الحديثة ، وفى هذا الديوان مجتمع سودانى ، وأهم ما يأخذ القارىء فى هذا الديوان أمران .

عنايته بالتعليم ، وهذا الموضوع قد استغرق جزءاً كبيراً منه ، فيتحدث عن المدرسة الأهلية ، وعن مدرسة الأصفاد ، وعن كلية غردون ، وعن تكريم البعثات العلمية ، وعن يوم التعليم ، إلى أشياء كثيرة من هذه الموضوعات .

ونستطيع أن نقول أنه يندر أن يفلت من بين يديه أمر يتعلق بالتعليم دون أن يقول فيه ، ومن شعره فى كلية غردون .

لها علينا وإن ضنت بموعود قديم عهد وحق غير مجحود
كم خرّجت من فتى حلو شمائله مشمر الساق فى الأتراب محمود
كأنما الجهل طوفان يحيط بنا
وهى السفينة قد أوفت على الجودى
يا معهدا طاب ماضيه وحاضره لا كان ربعك يوماً غير معهود
لا أنت فى واجب السودان وانية ولا مقامك فيها غير محمود
قالوا وفود على أبوابك ازدحمت وهل سمعت بعذب غير مورود

وعنايته باللغة العربية ، وشعراء السودان يولون هذه الناحية نصيباً من جهودهم ، ولكن الشيخ عبد الله صريع كل الصراحة حين يتناول هذا الموضوع . قرأت قصيدة طويلة للشيخ عبد الله البنا عنوانها (دمعة على اللغة العربية) يبكى فيها حاضرها وأشاد بماضيها ، وللشيخ عبد الله أبيات كثيرة ، يسوقها كلما سنحت له الفرصة ، يقول فى قصيدة نبوية :

بنى وطنى أن قمت للضاد داعياً فإنى أدعو للتى هى أقوم
أرى الضاد فى السودان أمست غريبة
وابتاؤها أمست لها تتجهم
تولت وما دمع عليها بفائض وما أحد منهم لها يتألم
ونبئت بالسودان قوماً تآمروا
على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا

ويقول مخاطباً قومه وعشيرته بعد أن أشاد بجهود مؤتمر الخريجين فى التعليم .

بنى عمنا لبوا النداء فحسبكم تنازع مأموم بها وإمام
فلستم بأحياء ولستم أعزة إذا الضاد لم يؤذن لها بقيام

وعلى ذكر الخلاف نقول إن صاحب الديوان قد أشار إليه غير مرة ، ودعا إلى اتحاد الكلمة ، ومن كلماته الرقيقة فى ذلك

أفى الدار مصغ للحديث فسامع أم الدار قد سدت عليها المسامع؟
توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع
وطوفت أستبكى عيون قصائدى عليها ، وقد تبكى القصيد الفجائع
مشى بين أهليها الخلاف فأصبحوا
تصدهم عن كل خير موانع
أرى النار شبت فى نواح كثيرة ولم ينج متبوع ولم ينج تابع
إذا القوم لجوا فى الغواية كلهم فقبح مدفوع وقبح دافع

ولا نختم هذا الحديث حتى نشير إلى هذه الصورة التى رسمها الشاعر الشيخ حسيب على حسيب ، وهى صورة طالما رأيناها ، وألفنا لها :

عجباً أرى المقدام أصبح مذنباً يقصى وذا الوجهين أضحى مكرما
إنى عرفت الدهر حتى خلتنى إياه فاسمع سائلى ثم احكما
إن شئت أن تحيا سعيداً بينهم كن تابعاً ما يشتهون معظما
حتى إذا قالوا الظلام أجبتهم والشمس مشرقة ، فقل ما أظلما

وهذا شاعر يئس من المجتمع ، ونظر إليه نظرة كلها حسرة وألم ، وماله لا يفعل وهو الذى يقول ، وتقول معه ؟

ماذا أعاتب يا زمان وأتقى أهلى أم الأيام أم حسادى ؟

ويقول عن قلبه :

ألف الهموم برغمه وألفته فغدا يواد والسرور يوادى

ويقول عن أقاربه :

هم مرقوا عرضى الغير جريرة وقضوا على بأن يطول سهادى
يسمون فى خفضى وأطلب رفعهم شتان بين مرادهم ومرادى

(للحديث بقايا)

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

النيل والسودان (*)

للأستاذ محمود غنيم

سائلاه أأنت نبعُ الجنان ؟ أم جنى النحل أم رضاب الغواني ؟
أم رحيق طالت عليه الليالي لم يعتّق أمثاله في الزمان ؟
يا نديمي إنما أنا صب بابنة النيل لا بنت الحان
أترعا من منابع النيل كأسي واهتفا باسمهن ثم اسقياني
يا نديمي تلك ساعة صفو سنحت فاختلستها من زماني
أسقياني سلافة عُصرت من قبل خلق الكروم في البستان
خمرة لم تطش بلب لبيب شربها شعبة من الإيمان
عصر الناس كل خمر وخمري عصرت كرمها يدُ الرحمن
سائلاه أبين عبريه ماء أم لجين وعنبر سائلان ؟
شيب آذيه فكان عقيقاً وصفا فهو ذوب حب الجمان
وأطافت به الرياح رخاء فهو حلم في خاطر الوسنان
وأطافت به الأعاصير هوجا فهو طيش الشباب في عنفوان
وسخا فهو حاتميّ العطايا وطغى فهو عارم الطغيان
واستوى فهو كالقدود اعتدالا وتثنى تثني الخيزران
وتلوى في سيره أفعوانا لا يجج السموم كالأفعوان
مثل صدر الحليم في الرحب أوفى ضيق صدر المدلل الغضبان
يرد الناس حوضه أبد الده ر ولا يشتكي من النقصان
هو طب الجموم من كل داء هو طهر لها من الأدران
كاد أن يغسل القلوب من الحق د ويمحو كوامن الأضغان
شق مجراه وابتنى شاطئيه بيديه مهندس الأكوان
أنا أهواه ما سقى يانع الرو ض وما بل غلة الظمآن
أنا أهواه ما حييت فإن مت فوكوا من عشبه أكفاني

* * *

أيها النيل كم لبثت ؟ ومن أي ن تفجرت ؟ ما درى الثقلان
سابق أنت للمجرة أم أنـ ـت عهداً أم أنتما توءمان
يا سجل التاريخ حدث بما عا يات ليس السماع مثل العيان
كيف حاد المؤرخون عن الحق د وجاءوا بالإفك والبهتان
قد شهدت الإنسان يأوي كهوفا ويؤاخي فصائل الحيوان
وشهدت الإنسان يقتطع السحـ ـب ويؤوي رفاقه الهرمان
حدث الناس عن فراعين حمر كيف بذوا الشعوب في البنيان
كيف دانت لدولة الفرس مصرٌ كيف دانت لعاهل اليونان ؟
هات يا نيل ليلة من ليالي « كيلُبطرا » وقيصر الرومان
حدث الناس عن بسالة عمرو وجنود الفاروق في الميدان
أنت يا نيل معرض للحضارا ت وشتى الشعوب والأديان
أفأبصرت كالحنيفة دينا أو رسولا يحكى فتى عدنان ؟

* * *

يا رفيق البنان كيف حفرت الصـ ـخر بالظفر يا رفيق البنان ؟
كيف دانت لك الهضاب العواتي كيف لانت صلابة الصوان ؟
كيف جبت الفلا بغير دليل وملأت الصحراء بالعمران ؟
حوّلت كيمياؤك الترب تبراً ونفخت الحياة في الصفوان
ليت شعري أساحر بعصاه أنت أم أنت عالم روحاني ؟
كم نسجت الثياب من غير نول ثم وشيتها بألف دهان
رب حقل كسوته بعد عرى فإذا الحقل أخضر الطيلسان
ما بكت أوغدت سواقيك لكن لك رنان آية الشكران
أنت يا نيل فاتح فتح المد ن بغير الحديد والنيران
سائر لا تحيد فوق صراط كقطار يمشي على قضبان
دائر بين لجة وبخار كنجوم السماء في الدوران
لك في الأرض والهواء مدار حار فيـه مقوّم البلدان
قربوا الشاء للسماء وزفت كلُّ خود إليك في مهرجان
ليت شعري أحسنوا لك صنعاً أم أساءوا بذلك القربان ؟
أقلوب الأرباب مثل قلوب النـ ـاس تهوى فواتر الأجفان ؟

* * *

فيك حيّيت كل ذات شراع تتهادى تهادي النشوان
وبنات البخار إذ هي تعدو عدْو خيل الطراد يوم الرهان
الجواري روائح وغوادٍ فيك يرقصن كالجواري الحسان
أرسل الفلك في الفضاء صفيراً رن في مسمعي رنين الأذان
ومشى يمخر العباب ويلقى المـ ـوج سكانه على الشطآن
فإذا الموج فوقها يتراءى كتراءى الولدان في الأحضان
رقصت موجة وغنت سواها بخرير منظم الألحان
قلت — والموج راقص ومغن ليت شعري أذاك حفل قران
وتهادى النسيم أين مسا من رفيف الندى على غصن بان
ونوالت على العيون الرائي مرهفات للحس والوجدان

(*) ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفلة التكريم التي أقيمت له بنادي المحريجين بأم درمان .

صور تبعث التأمل والشعـ ـر وتوحي برائعات المعاني
وشخوص تلوح أو شخوص سـ ـكرسوم في لوحة الفنان
وكأن الهضاب تومي إلينا بتحايا الإخوان للاخوان
وتكاد الأشواق تدفع بالعا لم وتحتل موضع الربان
أيها الفلك إن بلغت بنا السو دان فاهدأ فقد بلغنا الأماني
بلد قاته وقانيَ النيـ ـل ورواه مثلما روانى
جمعتني به شريعة طه وهداه منهاجها وهداني
بلد ردّدت لياليه شعري وشجاها من لحنه ما شجاني
نحن خلان، رب روح وروح في سماء القريض يلتقيان
رشفة من منابع النيل تربي حسناتي في كفة الميزان
ووقوف بهن يمحو الخطايا ويجُبّ الذنوب بالغفران
أتراني في موسم الحج يمـ ـمت حاكم أطوف بالأركان؟
أم تراني حسبت زمزم يجري ماؤها حيث يلتقي الرافدان
كل مغنى من بين تلك المغاني حرم قد أجله الحرمان
جيرة النيل أرضكم فوق ظهر الأ رض نفح من جنة الرضوان

***

سحب دمعها يسيل سجاما يا لدمع يجري بلا أحزان
وشعاع تزجيه شمس ضحوك ذات دل ومبسم فتان
وكنوز لم يكشف الستر عنها وأراض عذراء غير عوان
أيها النيل إن شطك رمز الخـ ـلد في ذلك الوجود الفاني
أيها النيل حول شطك شعب يتحلى بسمرة الأبدان
ذو خصال مثل القواضب بيض ووجوه في سمرة المرّان
سمرة اللون في محياه تُرى باخضرار الرياض في «نيسان»
ولوان القلوب صارت وجوها كنتمو كالبدور في الألوان
علم السحب جودكم كيف تهمي وأمدّ النباتين بالفيضان
من أياديك يازمان — وما أنـ ـدرها — رحلتي إلى السودان
أنا فيه في منزلي وعشيري آنس بالمكان والقطان
شر ما تبتلي به نفس حرّ غربة الحر وهو في الأوطان
إن مصرا وإن سودان مصر في رضاع وفي دم أخوان
وهما منذ كوّن الله هذا الـ ـكون شعب ولا أقول: اثنان
أمة أمها الطبيعة والنيـ ـل أبوها الأب الأبر الحاني
ربط الله بيننا برباط بين وثيقين الضاد والقرآن
لن يحل الإنسان ما عقدته قدرة الله خالق الإنسان

محمود غنيم

الجمال النائم

للأديب محمد محمد علي السوداني

سرمد حفته أمال ظماء رفت الفتنة فيه والصفاء
وتمشى في دمائي نشوة حلوة الهمس وأحلاماً وضاء
شاد في أعماق نفسي معبداً أفرغت أسرارها فيه السماء
فاض منه الطهر واستذرت به مهيج حيرى بها جاش الرجاء
سجد الدهر على أعتابه خاشع السجدة مهموس الدعاء
رعشة الهيمان في محرابه تفهم الدنيا تزوعاً وبكاء
كونه الصوفي روض حالم ساحر النضرة نشوان الجواء
خالد البهجة فجرى الرؤى في الربيع الطلق أو برد الشتاء
كله حسن وشوق ضارع وأمان ظمئات ودعاء
وظلال رقصت أحلامها تحت سوق الدوح رمز الكبرياء
وفراشات طراب نهلت من رحيق الزهر صرفاً ماتشاء
قبست من لونه ألوانها ونضت في حانه ثوب الرياء
فهي تشرب ممن في غيه وهي زهر طائر ملء الفضاء
خضرة المرج غناء عطر في فم البلبل مشبوب الغناء
وهدير الماء شكوى عاشق وحفيف الروح أنغام الوفاء
عالم كالوهم إلا أنه عالم الحسن بأفق الشعراء
ترتمي فيه الأماني زورقاً مشرق الطلعة جذاب الرواء
زفه اللحن إلى شط الهوى فتهادى في عباب من ضياء
سرت الأحقاب في موكبه تنهب المجداف نهباً في خفاء
فرت الظلماء في آفاقه وتغشتها سيول من دُكاء
لست تدري أصباح غارق في شفوف الغيم أم ذاك الماء
أيها النائم رفقاً أننا لمحة حيرى وأنضاء شقاء
مالنا في الحسن إلا وحيه وبجانبيه القوم سعداء
أصرف الأغراء عني مشفقاً واحجب الفتنة عني بالرداء

محمد محمد علي السوداني

رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٢ ـ اردان حلة الاحسان

فى الرحلة إلى جبل لبنان(*)

لمصطفى البكرى الصديقى

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

كان صديقنا والد الأولاد المرحوم الشيخ مراد توفى فى شهر ربيع الأول فعملنا عند قبره ختما ، وطلب ليلة المسير الولد الكبير الاندراج فى السلك مع اخوته فأجبته ، فأخذ صالح الدأب على الخير ، وتبعه أخوه خير وأخوتهما ومصطفى وعلى وخالد وعمر وأولاد صالح ، وسرنا بعد أن ودعنا الاخوان وصلينا الجمعة فى (سحموانه) وجاءنا من صفد ، من له الغرام بالتحريك أوثق صفد ، وبتنا فى (قلعة معليا) الرفيعة ، وفى الصباح عاد أهل صفد وصحبهم الأخ الشيخ عمر البقاعى وأرسلت معه كتاباً للصهر . ومنها توجهنا يمن معنا إلى الساحل ، وقبلنا لدى ذى النون المصرى القيم الراحل ، فقلت :

ومررنا بلصق جدران (عكة) بلدة فى الثغور ثورت عكة
وحديث عدحها فضعيف بكها الجسم لا تقسه ببكة
وقطعنا نهر الدعائم سرعاً وأصـــبنا لدى القطع ركة
ورأينـــا قريب قلعة حيفا وسكـكنا الجفا على العنق سكة
وسألنا الاله تقريب قدس وارتحالا اطيبة ثم مـــكة

وبتنا فى قرية (صدفند) بعد مشقة ، ومنها أتينا حمى (عتيل) وعرمنا فى الصباح على الرحيل ، ونلنا من أهلها إكراماً له حال تقيل ، وحثثنا المطى بلا وقوف ، إلى (الطيبة) الطيبة الحلوف ، وهذه القرية من قرايا بنى صعب[1] التى يأمن بها الخائف ويهون الصعب ، وهم بطن من كندة ومن بجيلة ، وكندة بالكسر ، قبيلة من اليمن ، وقيل الكندى لقب ثور بن عفير أبى حى باليمن لأنه كند[1] أباه النعمة ولحق بأخواله . قاله فى القاموس . وفى المصباح المنير بجيلة قبيلة من اليمن والنسبة إليها بجلى بفتحتين ، مثل حنفى فى النسبة إلى بنى حنيفة ، وبجلة مثل تمرة قبيلة ، والنسبة إليها على لفظها انتهى . ومنهـا حوّل تبأ الدليل السلفيتى ، إلى قرية (كور) فقدرّ بها مبيتى ، لدى الأخ الحاج حسن بن مقلد[2] وسرنا إلى الخربة الطيبة الماء والتربة ، وفيها ورد علينا الأخ الشيخ نور الدين [الهوارى] ضحوة النهار ، وفى صباح يوم الخميس ، أول ذى الحجة الأنيس ، سرينا حتى أتينا (صنّير) ، عازمين أنا بعد الغدا نسير ، والقصد التوجه إلى جنة (الذاوية) ، لدعوة رضوانها المنتمى لهلال مرابعها الداوية ، فبتنا لديه ، وأدخلنا صهره السيد محمد الطيارى على ابنته الصغيرة . وبايع بعد العشاء جماعة تفوق على العشرين ، وتقدمنا إلى (دير غسّان) ، وبتنا فيها بليلة حسان ، ودعانا الشيخ إبراهيم الرابى للغدا ، فتوجهنا لزيارة (الخواص) سيد إبراهيم وافر الندى ، فقلت :

أيها الواردون للخواص إن هذا المقام نزل الخواص

وتوجهنا صبحاً إلى قرية (عابود) لدعوة أهلها ففتحنا باب الوفود ، ورقينا تلك المنازل ذات الصعود ، وبتنا فيها وحبل السرور ممدود ، ومنها سرينا نجد فى السير إلى (بيتلو) للاصطباح ولم نبت إلا لدى (نبى الله شمويل) ولما أرسينا بشطه وأمسينا فيه ، وفد علينا من المقادسة من نصطفيه ، فكانت الوراد من المنزل المقدس تفوف على العشرين . وفى ضحوة نهار الثلاثاء سادس الحجة عمدنا الديار المقدسة صحبة الأحباب ، وتلقانا أناس أطهار أخيار ، وإخوان صفا أولى ادكار وأذكار ، ودخلنا مصاحبين الفاقة والذلة والإنكسار ، رجاء الانجبار بتلو البردة الشريفة على عادة أهل الديار ، إلى أن وصلنا قبة السلسلة المرفوعة الأطوار ، وزرنا بعد ختم الذكر المنارة والصخرة الشهيرة الأنوار ، واجتمعت بالأهل والبنية صانها الستار ، وحصل بالاجتماع كمال السرور للحضار » .

وقد استغرقت هذه الرحلة من دمشق إلى القدس عن طريق

(*) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية .

(١) هو قضاء طولكرم الآن وأصلها طورکوم .

(١) كندا النعمة كندها .

(٢) هو حسن بن مقلد الحيوسي ، شيخ بنى صعب . وآل الحيوسى يسكنون قرية كور حتى اليوم .

البقاع ولبنان تسعة عشر يوماً . وأخذ الشيخ بعد ذلك يدور فى فلسطين ، ويزور مشاهدها ويدون لنا فى رحلته ما شاهده من الآثار ، ومن اجتمع به من السادة الأخيار .

* * *

ويقول الشيخ : « ودخل العيد ونحن فى صفاء ما به أكدار ، ووردت علينا بعد أيام مكاتبات من أحباب أخيار نظام ، وأرسلنا الجواب البار ، إذ شاقنا التذكار لأهل حلب والشام ، وبقية خطاب كرام ، وحصل بعد الحضور فتور قريحة فلا نثر ولا أشعار ، وكان الأخ السلفيتى توجه إلى مربعه ، وبعد أيام من الإقامة وجع جامعه لكل مرة مداحة ، حصل رمل عين ، أورث نكد عين ، ثم اتبعتها أختها وحصل الشفا . وحين هل هلال محرم الحرام ، سنة (١١٤١هـ) استقمنا على نظام واحد فى الخيام ، هاجرين منهج النظام قهراً ولما آن أن يدنو منه التمام ، بشرت بحمل وقيل أنه غلام ، قلت ما جاء هدية من السلام ، فهو لدينا مقبول ولا ملام ، وعسى أن تكون بنية ذات حال سما ، لاسمها باسم والدتى الشريفة عُلما . وفى صفر الخير اتضحت البشارة ، وزال فى شهر المولد لبس الستارة ، وكان الأخ السيد محمد (السلفيتى) وعد بالعود ، لأجل أن يرافقنا فى الزيارة العليلية [1] فعزمنا على المسير إليها ، ورافقنا الأخ الشيخ رضوان نجل رضوان الزاوى ، والأخ الشيخ نورالدين الهوارى ، وغيرهم من الإخوان ما لهم مساوى . وذلك نهار السبت السادس من شهر ربيع الأول شهر المولد » .

الزيارة العليلية :

« وحين واجهنا سيدنا (شمويل) [2] قرأنا لجنابه فاتحة الكتاب ، وبعد هنيهة فى المسير ، أنشد رضوان الزاوى :

شوش الجمال قابى حين نادى بالرحيل
قلت للجمال خذنى قال لى حملك ثقيل

« وما زلنا على نجد نحب الأرض حباً والوقت أدلى أردان بسطه علينا وذوقنا قضباً وحباً وفاكهة ، ونزلنا للاستراحة وقت الضحى ، ولم نعقل الدار غب طى تلك المسافة إلا فى (عابود) ونزلنا غب استقبالهم المضافة . وفى يوم الاثنين غلساً سرنا ، وللاستراحة فى (نزلة) نزلنا ، وانعطفنا على زيارة سيدنا يهودا وهو أحد أولاد سيدى يعقوب . فقلت :

يا خليلى مثلف الوجد عودا وانشقانى نداً عهدت وعودا

وبتنا بقريته المأنوسة ، فى دعوة الصديق الشيخ إبراهيم الخليلى القاسمى ، وفى الصباح أتينا (يازور) وزرنا مقام سيدنا حيدرة المنسوب لسيدنا على بن أبى طالب ، ودخلنا (ساقية) . وفى الضحى سرنا إلى (يافا) ، وقد تلقانا أحبة ، لهم صدق خلوص وفى (الجامع الجديد) حللنا به ، إذ الرفاق جمعهم جمع ، ودعانا الأخ السيد صالح محرم للدار ، وبتنا عند أخينا العواد ، نافعين الأكدار ، وتوجهنا للحرم الجليل ، وحضره قبلنا الأخ الحاج حسن مقلد ، وجاءنا نفر من أهل يافا ، وصحبتهم الشيخ خاطر المجذوب وختمنا بعد العصر الربعة الشريفة ، وعملنا المحيا ليلة الجمعة وأقمنا فيه يومها » .

العودة عن طريق نابلس :

وبعد العشا ، وبعد النشا ، توجهنا إلى (بنيامين) وقرأنا الورد السحرى لديه ، وأتينا (كور) وأقمنا بها ليلتين ، ثم وردنا نابلس المحمية ، ونزلنا بساحة (الدرويشية) ودعانا المحب ، الحاج حمدان الطويل ، وأخذ ولده الدخيل الشيخ يوسف وصالح للتكميل ، وقام بما يلزم من إكرام جناب صالح باشا بن توقان [طوقان] ، وزرت مع الأخ السلفيتى فى جبلها الشرقى سيدى الشيخ غانم المقدسى ، وتوجهنا يمن منا إلى قرية (عيبوس) ، وأخذ بها العهد الشيخ عمر مملوء الطاسوس ، وحضر الأخ المأنوس السيد محمد وقال ما أثرت فى مبايعة أحد من إخوانى ، مثل ما أثرت فى مبايعة هذا الأخ الجنانى ، ولا سمعت ذكراً أحلى من ذكرك حال التلقين الاحسانى ، فانى بمجرد قراءتك الآية الكريمة خشعت أركانى ، وهمت أجفانى . فقلت له كان الوقت طيباً مشهوداً بحضور أهل النور الصمدانى .

---

(١) نسبة إلى سيدنا على بن عليل : ومقامه شمال يافا وهو من نسل عمر بن الخطاب . توفى (٤٧٤ هـ) ويقول فى الأنس الجليل أنه أخبر أن الأفرنج إذا أقبلوا على ضريحه وهم فى البحر كشفوا رؤسهم وسكنوا .

« وسرنا إلى قرية (جماعين)[1] وبتنا بها ليلة الأحد ذات السحاب المين ، وقرأنا الورد السحرى فى الجامع على جمع من الأعيان . وتحونا نحو (مردا) لم نجد منها مردا ، وبعد ما أظهرنا مضينا إلى قرية (كفر عين) راجين صلح بنى زيد ، عسى المين عليه يعين ، وبتنا بها فى دار على جلباتها السرور دارا ، وتهجنا منها إلى (دير غسان) بوجدنام ، وقلب رهين منهان ، وأقمنا فيها لأجل الإصلاح ، إذ بدا شر بتلك البطاح ، وأخذنا عطوا شهر للراحة ، وسرنا للمنازل بنفوس مرتاحة ، ولدى (بيت ريما) أزلنا قصراً للاكرام ، وفى (تبتلو) غنا وبها مدت موائد انعام ، ولم نصلّ الظهر إلا فى بيت الحرم ، الكائن عندى فى الدار المعدود من النعم ، ورجع أخونا السيد محمد ومن معه للمنازل وأرسلت للصهر المحترم كتاباً جعلته عن كتب جواباً . وصدرته بقصيدة .

سيف الهوى ما أنله بعد بلى ذاك سله

وأرسل جواب هذا الكتاب مصدراً بنظم مستطاب مطلعه

غضب الهوى ما أسله ياويح من رام سله
به الفـــؤاد عليل باليتـه ما أعـــله
فصار جسمى نحيلا من الضنا كالأنمله
وقد سرى فى عروق مثل الدما وأحله
حتى كسانى وجداً قد صار للقلب حله الخ

وجاء فى منه كتاب ثان ينبىء عن الحب الرفيع الشأن ، وذكر فيه موشحاً للسيد يعقوب الكيلانى ، مجل السيد عبد القادر الحموى الثانى ، وهو على طريقة الأندلسيين . وبعد أيام من ورود الكتاب القندى[2] ، وجاء فى الدرويش الحاج يعقوب السندى ، وطلب منى حال عزم على السفر مكاتبات أربعة أحدها لشيخنا الشيخ عبد الغنى (النابلسى) ومطلعه :

يا اقوى من لصب ما غفا طرفه فدام نادى القدس
صافحاً هم الثنائى فى الغفا إذ تملى بالجمال الأنفس الخ

وكنت أجبت الدرويش يعقوب لما طلب المكاتبات الأربعة إنى منذ أتيت هذه الديار ، أتكلف لكتابة مكتوب حروفه مجمة وإن أردت النظم والنثر العادى ، أراه متعسراً على ، ولو تعمل له فؤادى . فما زاده الإعتذار إلا إلحاحاً وإلزاماً فى الطلب ، فدفعت له مكاتبة الأستاذ الملاذ [أى الشيخ عبد الغنى النابلسى] فقال إنه يهديك هدية سنية تفوق لديك الملاذ ، ثم كر على طلب البواقى ، فعملت له مكتوباً لشيخنا الساق الشيخ ياسين الحموى الجيلانى فقلت :

وكذا نهدى تحايا قدمت وزكت أين ذكا منها أخى
وثنايا سحبها فيضاً همت بسطها للقبض يزوى أى زى الخ

وأرسلت للصهر الأمجد كتاباً مصدراً بموشح :

أصبحى أريحى أرجحى لوذعى المنى أجمى
افوبى أروحى أنجحى إرفى اشجى ارتقى
أنصحى إبطحى إسمحى إبدعى إطوعى أجرعى
ثغرة بت البخارى وأنا مسلم كأس الوطا محتسى
ولكم إذهب عنا من عنا وعياء وعلى ذا فقس الخ

وكتبت كتاباً للأخ الحميم الشيخ عبد الكريم المشهور بنسبه الكريم ، بالشرابانى القديم وصدرته بموشح :

أيها السيار سر بى للحمى
واسقنى من صرف صافى الاكؤس

وإذا تنبت ثلث فالظها قد غالى المقر الأنفس الخ

ولما أتممت المكاتبات المطلوبة ، وأحضرتهم على كيفية مرغوبة ، تأخر الدرويش يعقوب عن السير ، منتظراً للاذن المحبوب للقلوب عند الطروب . وكان قدم علينا غب العودة من الزيارة رجل مصرى يدعى موسى انتمى إلينا فيها ، وقصده التجارة لكنه مقلوب نفس ، منهوب حدس ، محجوب عبارة ، ملسوب حية أمارة ؟

« وفى يوم الأربعاء من أواخر شهر ذى الحجة توفى الأخ الأمجد الأوحد السيد محمد السلفيتى وسيأتى تاريخ وفاته وبعض ترجمته فى حال زيارة ترتبه ومرثيـــة قلتها فيه ، ما زالت الرحمات توافيه » .

« يتبع »

أحمد سامح الخالدى

(١) هى (جماعيل) من أقضية جبل نابلس ، وأحد مراكز العلم فى العصور الوسطى .

(٢) القند عسل قصب السكر إذا جمد .

اطلب كتاب
مبادىء فى القضاء الشرعى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدروس الخصوصية :

يهتم معالي عبد الرازق السنهوري باشا وزير المعارف بمشكلة الدروس الخصوصية ، ويعمل مع رجال الوزارة على إيجاد حل حاسم لها . وداء الدروس الخصوصية قد تفاقل في السنوات الأخيرة حتى تسرب إلى رياض الأطفال هابطا وبلغ الجامعة صاعداً . . وقد أحس معالي الوزير بخطره منذ العام الماضي فأصدر قراراً بأن يكون الحد الأقصى لكل مدرس في الدروس الخصوصية تسع حصص في الأسبوع ، ويكون ذلك عن طريق ناظر المدرسة ولكن أحداً لم يتقيد بهذا الحد وظلت الحال على ما هي عليه ، وقال النظار إنه لم تقدم لهم طلبات في شأن الدروس الخصوصية ، وبدت المشكلة بهذا الوجه تحاول أن تستعصى على العلاج .

والواقع أن الدروس الخصوصية تجني على الطلاب وأوليائهم كما تجني على المدرسين أنفسهم ، وإذا نظرنا إلى الأفكار الحديثة في التربية التي تؤيدها المشاهدة والتجارب ، والتي ترمي إلى تكوين شخصية الناشئين عن طريق استقلالهم في مواجهة التبعات والصعاب مع الملاحظة والتوجيه عند الاقتضاء — إذا نظرنا إلى ذلك نجد أن هذه الدروس الخصوصية إنما هي رجعية منكرة في التعليم . وهي بعد تغرى الطالب بالتكاسل والتشاغل عن الدروس في المدرسة ، اعتماداً على أن « بابا » سيتفق مع المدرس في آخر السنة على كذا من الحصص بكذا من الجنيهات ، ويتم النجاح بفضل هذه الجنيهات !

ثم هؤلاء الأطفال الذين تحملهم إلى الرياض ليلعبوا ويمرحوا ويحيوا حياة اجتماعية تناسبهم ، ولتنتهز الربيات الفرص لتنمية ملكاتهم وأذواقهم وتنشيط أذهانهم وإمدادها بقليل من المبادئ مادتهم حتى نرجعهم بطامة الدرس في المنزل ونستبدله لهم بما يحبون من الندى واللعب ! ونغرس في نفوسهم منذ الصغر كراهية التعليم !

وأنا لا أستطيع أن أتصور إثما في التعليم أشنع من إعطاء الدروس الخصوصية لطلاب الجامعة ، لأنه إخلال بوظيفتها الأولى والأخيرة وهي التمويد على البحث وتكوين الفكر المستقل ، على أن من شر الدروس الخصوصية في التعليم العام أنها تدليل على الطالب يفسده على الدراسة الجامعية ، فما بالك إذا دلل الكبار في الجامعة ؟ . .

أما آباء التلاميذ وأولياؤهم — من أبناء هذا الشعب المكدود — فهم مساكين . . يوشكون أن يلقوا في المدارس ما يلقى الناس في المستشفيات من أطباء يتراخون في المستشفى ويفشطون في العيادة !

وأما المعلمون فهم أشد مسكنة من الجميع ، لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين إليها مع ما تصيبهم به من الإرهاق وما تسببه لهم من قعود عن الاطلاع وتزويد أفكارهم وأذهانهم بما يفيد ويمتع من ألوان الآداب والعلوم والفنون .

إن المعلم على رغم ما ناله في السنوات الأخيرة من تحسن طفيف ، لا يزال يلقى المنت في حياته المادية ، فهو قلق في هذه الحياة التي لا يوصله فيها مرتبه إلى مطالب عيشه الضرورية ، فهو إذ يلجأ إلى الدروس الخصوصية لا يغبني أن يواجه بالمنع أو العقاب ويسكت على ذلك ، بل يجب أن ييسر له العيش الكريم تيسيراً يحفظ عليه كرامته ويصل به إلى مستوى يستطيع فيه أن يستغني عن هذه الدروس الخصوصية ، فإذا سعى إليها طامع جشع ردع بما يستحق من العقاب .

ولا يكفي في حل هذه المشكلة أن يحدد ما يباح لكل مدرس من عدد الدروس الخصوصية ، بل يجب أن تحسم بالتحريم القاطع ، إلا فيما عسى أن يكون من ضرورة تلجئ إليها حالة التلميذ . ونقطة لا بد من الالتفات إليها ، وهي أن المعلم لا يعطي دروساً خصوصية لأن عنده فضلا من جهد ونشاط ، فهو مرهق في المدرسة ولا شك ، وإنما تبعثه إليها الرغبة في رفع مستوى عيشه ، فلا يصح أن يكون من علاج مشكلة الدروس الخصوصية أن يزاد عمله في المدرسة وتضاف حصص إلى « جدوله » بل أنا أذهب إلى عكس ذلك فأقول بالتخفيف عنه ليتاح له أن يعالج في نفسه مشكلة الاطلاع والتزود الفكري ، وأبيح لنفسي — ولست بعيداً عن المعلمين — أن أقول صراحة إنهم يعيشون في إجداب فكري يهدد مستقبل الثقافة في هذه البلاد ، وهم يدورون في

المدارس دورات آلية تتكون كل منها فى حجرة المدرسين حيث يبدأ ينقل ما فى الكتب المدرسية إلى دفاتر التحضير ثم يلم التلاميذ شعثها ويضمونها فى كراساتهم التى يحملها المعلم إلى حيث بدأ للتصحيح ... ويتم كل ذلك بطريقة آلية مكررة لا تجديد فيها ، وأكاد أقول : ولا تفكير !

وليس ذلك لأن المعلم عاجز أو تنقصه الكفاية ، فقد درس وحصل وتخرج فى الكلية وفى أعلى معاهد المعلمين ، ولكنه أرهق بالعمل وحرم الفراغ الذى يستغله فى مداومة الاطلاع ، فاضطر أن يحيا فى شبه انقطاع عن زاد العقول ، كما اضطر أن يؤدى عمله على الطريقة الآلية السابقة .

حول صانع البؤس :

تلقيت رسالة من أستاذ جليل ضمنها رأياً فى « الخلق والفن » لا يتفق — من حيث العرف الاجتماعى والاعتبار الرسمى — مع مكانه من المجتمع والرسميات . ولهذا قال فى أول رسالته : « أما — كما يعلم كثير من الأدباء — يزعجنى أن يطرح اسمى مطرحاً يجعله موضوعاً لحديث عام ؛ وربما جاشت النفس بالخاطر يثيره رأى منحرف ، أو نظر حصيف ، وأعيا أمام شهوة الكتابة ، فأسترها مبالغاً ، حتى أوفق بين العاطفتين المختصمتين . لذلك أضع هذا الخطاب الخاص بين يديك على أنه أمانة لا يحل التصريح باسم صاحبها ، ولا وصفه وصفاً محدداً ، إن أنت عرضت له فى أسبوعياتك ؛ وغضب الله عليك إن خنت هذه الأمانة » .

ولذلك ابتعدت عن الوصف المحدد ، وعن غضب الله ... وأقدر للأستاذ الكبير حيرته — القيدة بمركزه — فى إبداء رأيه ، وأشكره على ما أضفاه على من عبارات التقدير والثناء ، وإنه ليسرنى أن أكون عند مثله كما وصف .

وأعرض بعد ذلك الموضوع الذى عرض له ، قال : « أخذت عليك رأيك فى « صانع البؤس » ، فإن صانع البؤس ليس الديب ، ولكن انحراف مزاج الديب ، الذى ما كان يملك تقويمه ، ولا يستطيعه لو حاوله . وفى الشاعر الحاذق النواسى ، الذى ما كان الديب ولا غير الديب يتعاق بغباره ، والذى يقول فيه النقاد : إن الشعر كان أقل أدواته ، ما يقرر مذهب الديب فى الحياة ؛ ثم فيما قاله هو عن نفسه : « أى شاعر يتبعه ابن الحباب » مايقطع بأن الانحلال الخلقى ليس معوقاً عن الفن الرفيع ؛ بل ربما جازت بـ ... فقلت : إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان . وعلى الجملة كل ما قلته صحيح ، ولكن الحكم على فن المنحلين بما حكمت فى حاجة إلى استدراك » .

وأقول : أولا إننى لم أحكم على فن عبد الحميد الديب ، وإنما أردت أن أصحح خطأ شائعاً يتعلق بحياته فقلت : إنه لم يكن بائساً حقيقياً ، وإنما كان يصنع البؤس ، وتضمن السياق ما يدل على انحلاله . وسواء أكان الديب هو صانع البؤس أم انحرافه ، فهو وانحرافه « متضايفان » ، وقد تعلمنا أن الإسناد إلى أيهما صحيح

أما مسألة الانحلال ، فقد كان لكلامى فيها إشارة إلى لون من الناس يحلو لهم أن يصطنعوا الانحلال دلالة على أنهم أدباء وفنانون ! ألم يكن الديب الشاعر منحلا ؟ وهم منحلون ، فهم إذن فى الأدب والفن عباقرة العصر فى مصر !

وأنا وإن كنت أوافق الأستاذ على أن الانحلال الخلقى لا يعوق الفن إلا أننى أقف عند قوله : « إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان » فلا أسلم بهذه القضية .

إن النابغين من ذوى الانحلال الخلقى يجيدون حقاً فى التعبير عن ميولهم وتصوير تجاربهم ، وهم كثيرون ، ولكنهم لا يغلبون على ذوى الخلق الكريم ، وأنا لا أميل إلى التعبير الخطابى ، وإنما أريد أن أفرق بين الانحراف فى الخلق الشخصى وبين الانحلال فى الصفات الإنسانية الرفيعة ، وقد اجتمع الاثنان للديب ، ومن النوع الثانى فيه الحقد وعدم الوفاء ومقابلة الإحسان بالإساءة ، وهذا النوع لا يقبله الفن الرفيع . وعلى ذلك أقول الآن : إن الديب لم يكن ذا أدب رفيع .

الشخصية السليمة :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة نفسية موضوعها « الشخصية السليمة » بنادى رابطة الأدباء يوم الأحد الماضى ، فعرف الشخصية بأنها التجاوب المنسجم بين البيئة وبين العقل والشعور المتماسكين ، وشرح التماسك بأن وحدات العقل واتجاهات الشعور قد تختلف فيما بينها ولكنها كجاذيف السفينة تختلف اتجاهاً وتتحد فى الهدف ، فالعوامل النفسية تتنازع ، ولكنها تتفق على الغاية فتمضى إليها كالتيار الجارى . ويقابل التماسك الصراع وهو أن تتعارض العناصر ويعمل كل منها ضد

الآخر ، فينفك بناء الشخصية . وقال إن في متناول أيدينا أن نجعل من اتجاهات نفوسنا طرقاً قوية متلاصقة متلاحمة متوازية ، وأول عامل في بناء الشخصية هو ما يسمى « قبول النفس » وهو أن يقبل الإنسان نفسه كما هي ، لا يجزع من عيوبه ولا يمدها مهانات بل قيوداً عليه أن يحطمها ، ولا يمدها عوائق بل حوافز تدفع إلى الأمام ، فيواجه نقائصه ولا يهرب منها ، كما فعل سقراط إذ ألف أرستفانيس مسرحية تندر به فيها ، وكان سقراط حاضراً يوم تمثيلها فلما عرضت شخصيته وقف لكي يراه الجماهير. فليس الشعور بالنقص عيباً فهو أمر طبيعي ، وإن أول سبب لاعتلال الشخصية هو اعتبار الصفات الغريزة عاهات يجب تغطيتها بمختلف الوسائل ، فالواجب تحويل النقص إلى كمال ، فصاحب الحياء أو محب العزلة يمكنه أن ينتفع بعزلته في البحث والتأليف ، وصاحب الفضول والتطلع ينتفع بطبعه هذا بأن يكون شرطياً سرياً أو صحفياً .

ثم تساءل الدكتور ناجي : هل البيئة الواحدة تخلق شخصيات واحدة ؟ فأجاب بأن البيئة تضع من يعيشون في دائرتها في قالبها العام ولكنها لا تجبر كل واحد على نفس ذلك القالب ، على أن لكل فرد أسلوبه الخاص في الحياة . وتحدث عن علاقة الغدد بالشخصية فقال إن الغدد تؤثر في الأمزجة والطباع حقيقة ، ولكن الشخصية قد تتكون رغم ذلك ، ولا لزوم للحكم على شخصية الإنسان من شكله الذي أدى إليه تركيب غددي خاص . ثم قال : إن مميزات الشخصية السليمة أن يكون لها ظل خارجي ممتد ، وعندما يصير الهدف إنسانياً أو اجتماعياً يكون لجر الشخصية قد انبثق ، فإذا صار الهدف روحانياً فقد بلغنا مستوى أعلى هو مستوى الإيمان ، وهو تلك القوة الخارجية التي تشع في داخلنا الجلد والصبر والعزيمة .

الشخصية المتلة :

وأعقب الأستاذ وديع فلسطين الدكتور ناجي ، فألقى محاضرة عن « الشخصية المتلة » قال : اعتلال الشخصية أنواع تقصر حديث اليوم على نوع منها يسمى « السيكوباتية » وهي السلوك المرضي ، والسيكوباتي عدو للمجتمع ولا يسلم هو من عداوته لنفسه ، ولا يصدر سلوكه المرضي عن وعي أو إرادة ، وإنما ينساق في تصرفاته انسياقاً أعمى مشبعاً بطفولة في الاتجاه الفكري واستغراق في لذات عارضة هدامة ، وسير في الحياة بلا هدف أو وراء هدف صوري لا وجود له . فقد يشعل النار في نفسه لا رغبة في الانتحار بل حباً في رؤية النار تحصد جسمه ، وقد يسرق ، لا رغبة في المسروق ، بل لمجرد الإيذاء والعدوان . وهو لا يقدر على التكيف والانتظام في عمل . ولا ينفع فيه التقريع والعقاب ، لأن فطرته عودته على الاضطراب والخلل .

ثم قال إن المريض بالسيكوباتية لا ينبغي أن يسلك مع المجرمين ، لأن المجرم المحترف يدبر لنفسه ويقدر جميع الاحتمالات لينجو ويفلت من العقاب فله إرادة ومنطق وغاية ؛ أما السيكوباتي فهو يقترف جريمته دون قصد أو تعمد ، وكثيراً ما يكون أول من يصاب بجرمه ويلحقه أذى تصرفه المنحرف . ومن المؤسف أن هؤلاء المرضى يعاملون في مصر إما معاملة المجرمين فيزج بهم في السجون ، أو يحسبون مجانين فيحالون إلى مصحات عقلية لا تجديهم نفعاً . وجدير بنا ، وقد استطاع الأطباء المقليون أن يشخصوا داء السيكوباتية ويعينوا أعراضه ومظاهره ، أن نفكر تفكيراً جدياً في تهيئة الوسائل التي من شأنها مساعدة هؤلاء المرضى على أن يألفوا الحياة الاجتماعية شيئاً فشيئاً ، وعلى أن يصبحوا أداة نافعة في المجتمع ، أو يجنب المجتمع آثارهم السيئة .

رسم « أبو رجل مسلوخة » :

قرأت الكلمة التي أراد فيها أحد معلمي الرسم الأستاذ كامل بطرس عصفور ، أن يملي الأصول التي كان يجب أن أقف عليها قبل نقد السؤال الذي طلب فيه من تلميذات المدرسة السنية أن يرسمن شجرة الزقوم ورؤوس الشياطين ؛ وأهم هذه الأصول أن تخاطب الصورة المطلوب رسمها قلب الطفل وعقله نفسه . وهأنذا قد وقفت على هذه الأصول ... بفضل معلمي الفاضل ... ولكني لا أرى فيها شيئاً ينقض ما قلت ، فأين شجرة الزقوم وأين رؤوس الشياطين من قلب الطفل ونفسه ؟ ! وما هي تجربته إزاء هذه الأشياء حتى يعبر عنها ..؟ فليطلب الأستاذ من تلاميذه رسم « البيض » أو « أبو رجل مسلوخة » أو ما شاكل ذلك مما ينطبق على أصوله ... أما الجحيم وشجرة الزقوم ورؤوس الشياطين فلا .

وهو يقول إنه لا يوافقني على قصر التخيل على المباقرة وأنا ما قصرته عليهم إطلاقاً ، إنما قصرت تخيل الجحيم وما فيه على أولئك المباقرة . أما ما دون ذلك فللأستاذ أن يجول فيه بتلاميذه أو تلميذاته كما يشاء .

عباس مضر

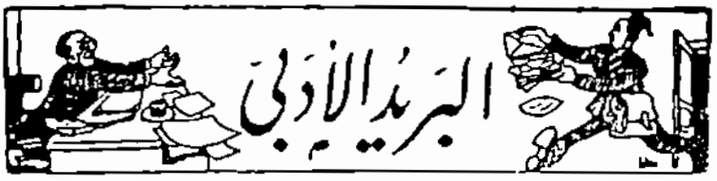

رأى الدكتور يعقوب صروف في أسلوب الآنسة مي:

بمناسبة ما نشر الكاتب الفاضل طاهر الطناحي في نسخة شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ من مجلة الهلال عن الآنسة مي وآثر الدكتور يعقوب صروف في حياتها، وقوله في رسالة إليها، «إنها تفكر بلغة أوروبية قبل ما تعبر عن رأيها بالعربية» أرى خدمة للحق والتاريخ أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء كتاباً من الدكتور صروف كتبه إلى منذ أربع وعشرين سنة أبان فيه عن رأيه في أسلوب الآنسة مي في إنشائها، وكشف عن أشياء لم تنشر بعد عنها.

ولقد كان هذا الكتاب جواباً عن خطاب مني سألته فيه عن سبب تقديم نشر مقالاتها في المقتطف على مقالات بعض كبار الكتاب وتحدثت عن أسلوبها وما في بعض معانيه من غموض وأجود الكلام كما يقول أهل الفن «ما يكون جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ولا ينبهم مغزاه».

وقد كنت يومئذ أتولى تحرير جريدة التوفيق وأشارك في تحرير جريدة المنصورة وأراسل جريدتي السياسة والقطر.

وهذا كتاب الدكتور صروف من خطه لم أغير منه حرفاً ولم أحرم منه كلمة:

مصر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤.

حضرة الرصيف الكريم

سلاماً واحتراماً، وبعد فقد تلوت ما تكرمتم به وفيه أمران، الأول ترتيب المقالات فهذا يراعى فيه زمن ورودها أو وصول يدي إليها إذا كانت عندي، فنفس في تقديمها وتأخيرها نظر إلى فاضل ومفضول. والثاني ما تكتبه «الآنسة مي» وأنا أعرف كثيرين من الذين لهم الكعب الأعلى في الإنشاء مثل المرحوم اسماعيل باشا صبري، ومثل السيد مصطفى الرافعي، يجلون قدرها ويعدونها بالكلام والكتابة؛ وقد رأيت اسماعيل باشا صبري يقبل يدها في بيتي، ورأيت له ولولي الدين يكن وخليل مطران قصائد في مدحها. وأظنني رأيت للرافعي أيضاً كتاباً لها يطنب فيه في مدحها، فهل نسفه كل هؤلاء وهم من أئمة الأدب العربي أو تتهمهم بأنهم يقولون في الحضرة شيئاً وفي الغيبة ضده؟ ثم إنني لا أستحسن هذا النوع من الإنشاء بدليل أنني لا أجري عليه، ولكنني أفهمه لأنني أحسن لغة أوربية. وأرجح أن أكثر الذين يحسنون الفرنسوية أو الإنكليزية يستحسنونه. وقد جرى عليه الآن أكثر أدبائنا في أمريكا الشمالية والجنوبية وبعض أدباء الشام. وسيمسك الأصلح في ضروب الإنشاء.

هذا وأشكر فضلكم على حسن ظنكم بالمقتطف خاتماً بأطيب تحية.

يعقوب صروف

هذا هو كتاب الدكتور يعقوب صروف وهو ولا ريب وثيقة تاريخية مهمة تنفع كل من يعنى بتاريخ الآنسة مي ويحرص على درس تاريخها.

(المنصورة) محمد أبو رية

الأزهر ومعهد القراءات:

دأب القراء المحدثون على أن يرتلوا كتاب الله بالأوجه التي تواترت في كتب القراءات كالشاطبية والطيبة. يتلقونها تلقيناً ويأخذونها مشافهة.

وأكثر القراء الآن مع الأسف لا يفهمون السر في أوجه التغيير التي قد تطرأ على الروايات ولا يدركون اختلاف الأعاريب وعللها. ذلك لأن مقصدهم عند تلقيهم إنما هو الإسماع والتطريب لا الدراسة والتحليل.

ومع أن القرآن الكريم — بأوجه قراءاته — هو أصل الأصول للدراسات العربية والمصدر الأول للتشريع فإننا لا نجد معهداً علمياً خصص له دراسة مستقلة لقراءاته. ولا أعني بالدراسة المستقلة تلقين المدود ومذاهب القراء في الإمالة مثلاً، وإنما الذي أعنيه هو أن تخصص له دراسة في الكليات العربية كدار العلوم واللغة والآداب تتجه إلى أمثال ما يأتي:

١ — دراسة اللهجات العربية دراسة مستفيضة.

٢ — الإلمام بتاريخ القراء ومبلغ تأثرهم باللهجات.

٣ — أثر القراءات فى التفسير .

٤ — أثر القراءات فى النحو والبلاغة .

٥ — أثر القراءات فى التشريع . إلى غير ذلك من الموضوعات التى كان للقراءات فيها أثر كبير . وليس من المعقول أن يلم بأمثال هذه الدراسة أولئك الذين حفظوا القرآن فحسب ، وإنما يستطيع أن يتابعها من ألموا باللغة العربية والشريعة إلماماً واسعاً لايقل عن شهادة الأزهر الثانوية ، فهم الذين يمكنهم أن يفهموا ما يلقى عليهم من محاضرات علمية جامعة . وأمثال هذه الدراسات ليست من السهولة بمكان ، ولايكفى أن يقوم بتدريسها من حفظ الشاطبية والطيبة والنشر مثلا ، بل لابد من أن يلقيها أساتذة لهم من الدراسات العلمية واللغوية ما يؤهلهم لفهمها وإفهامها . وكنت أحسب أن الأزهر الشريف حينما أنشأ معهد القراءات التابع لكلية اللغة العربية أراد هذا اللون من الدراسات غير أننى حينما قرأت وسمعت عن الدارسين بهذا المعهد وجدته لا يشترط فيهم إلا ما يشترط فى مطلعى « المكاتب » زيادة أن يجوزوا امتحاناً فى الشاطبية والدرة وأمثالها ، فكأن معهد القراءات « مكتب » منظم لتخريج مقرئين فقط . أما الغاية الكبرى فليست من منهج هذا المعهد . فهل تجعل كليات دار العلوم واللغة والآداب للقراءات فى مناهجها نصيباً ، أوأن الأمر سيظل ضئيل الأهمية لا يجد من العناية ما يليق بكتاب الله وأوجه قراءاته ؟ ولعلى إن شاء الله أقدم أنموذجاً لبعض هذه الدراسات إن وجدت — كما أعتقد — من أستاذنا الزيات ورسالته صدراً رحيباً

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

يهودى فى المعتقل :

ورد فى مقال صاحب الرسالة (حكم من أحكام الله) تعليقاً على حكم قضاء البصرة العادل : (فتنزلهم) (والهاء يعود الحكومة المصرية والميم على اليهود على الرحب والسعة وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة) .

وليت الأستاذ الزيات يعرف ما نصيبه طائفة اليهود من مغانم فى المعتقلات المصرية .

وإلى أوفر على نفس نصب التدليل والبرهان وأكتفى بسرد القصة الآتية : فى كلية الصيدلة يطلب شاب يهودى العلم فى السنة النهائية ، وهذا الطالب يعيش عيشة ضنك وحرمان ، وفى أوقات فراغه يزاول عشرات الحرف ليحصل على طعامه . وقد ذكر فى حديث له أن أخاً له كان ينفق عليه وتخلى عن نفقته ؛ ومن منظره وهندامه يتبين أنه مبالغ فى قوله فلا أعتقد بأنه خرج من أم وأب وله أخوة وإنما هو ابن الفقر الأوحد .

وشاء حظه الحسن أن تعادى مصر الصهيونية وسمع بأنها تقبض على كل من تشتم فيه رائحة العداء ، فأطلق لسانه بكلام وما قصد إلا الخير وهو أكل القوت فى المعتقل ، وتم له ما ابتغى وغاب عن الكلية أشهراً ثم عاد إليها مخفوراً ليؤدى الامتحان ، وإذا بابن الفقر قد أصبح عاقاً لوالده ، ولعله هجر صحبته من يوم أن دخل المعتقل فخرج فى وجه ولبوس غير الذين دخل بهما . وسأله زميل له : من أين لك هذا النعيم وأنت معتقل ؟

فتبسم اليهودى قائلا : ليت مصر حاربت اليهود من يوم أن خرجت للدنيا ! ولو أن الجنة كانت كالمعتقل كما يصفها المسلمون لأسلمت من الآن . وما كنت قبل حديث هذا اليهودى أتصور بأن الحكومة تعاملهم فى المعتقل بكادر وتجرى عليهم راتباً يومياً وتدعهم أحراراً ينفقون أموالهم كما يشاءون ! فطوبى لكل يهودى يعيش تحت سماء مصر !

عبد الرحمن فراج

إلى الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ :

قرأت فى عدد الرسالة ٧٩٧ فى مستهل مقال الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ الفتوة عند الصوفيين هذه العبارة (والفتى هو الشاب حدث السن) وقوله حدث السن تركيب لم يرد فى متون اللغة ، بل نص فى بعض الكتب على منعه ، فقد ورد فى الأمالى لالقالى (جـ ١ ص ٢٦) فى مطلب أسماء الرجل يجب محادثة النساء ما يلى :

(الحدث : الشاب ؛ فإذا أضيف إلى السن قالوا : حديث السن ولم يقولوا حدث السن) .

وفقنا الله إلى الاستعمال الصحيح الفصيح .

اسماعيل أبو ضيف
الأزهرى

القلب الواشي

المطانب الأمريكي ادجار الان بو

حقاً ، لقد كنت عصبياً ، ولا زلت في حالة عصبية مخيفة . ولكن .. لماذا تقول إني مجنون ؟ إن الداء قد أرهف حواسي — لم يدمرها — ولم يضعفها ، ولا سيما حاسة السمع الحادة . لقد سمعت أصوات من في الأرض ومن في السماء ، حتى من في الجحيم . فكيف إذن أكون مجنوناً ؟ أصغ لي ، ثم لاحظ كيف أقص عليك القصة بحذافيرها وأنا في تمام الصحة وفي غاية الهدوء.

إنه لمن المستحيل أن أعبر كيف أثرت تلك الفكرة على عقلي بادىء ذي بدء . ولكنها أصبحت تلازمني ليل نهار . أما عن الدافع فلقد كنت أحب ذلك الكهل . إنه لم يخطىء في حقي البتة ، ولم يوجه إلي أية أهانة ، ولم أكن أرغب في ماله . ولكن عينه هي السبب ، نعم كانت هي السبب . إنها تشبه عين الطائر .. عين العقاب . كانت زرقاء تغطيها طبقة شفافة لامعة . وكنت في كل مرة تلتقي عيناي بها ، تثور ثائرتي ، ويهيج هائجي . ولهذا قررت أن أنهي حياة الكهل ، وبذلك أتخلص من تلك العين إلى الأبد . هذا هو الدافع . إنك تتخيلني مجنوناً . ولكن ليتك رأيتني أقوم بالعمل وأنا في كامل وعيي . ليتك شاهدتني وأنا أنجزه في حيطة وحذر . كنت أشفق على الكهل في أيامه الأخيرة أكثر من إشفاقي عليه في أيامه السابقة . وكنت في منتصف كل ليلة أدير أكرة بابه وأفتحه في هدوء ، وياله من هدوء ! ثم أطل برأسي عليه بعد أن أقلل من ضوء المصباح تدريجياً حتى يشع نوره داخل الغرفة . كنت أحرك الباب في بطء حتى لا أزعج نوم الكهل ، فيستغرق ذلك مني وقتاً طويلا . هل يمكن لرجل مجنون أن يكون عاقلا إلى هذا الحد ؟ وإذا ما أطللت برأسي داخل الغرفة ، أزيد من ضوء المصباح باحتراس ، بكل احتراس ، فأسمح لشعاعة ضئيلة تسقط على عين العقاب . كنت أفعل ذلك سبع ليال متتالية ، ولكني كنت أجد العين دائماً مغمضة ولذلك كان من المستحيل على أن أنجز عملي . لأنه لم يكن الكهل هو الذي يثيرني ، بل كانت عينه الشريرة . وكنت في كل صباح ، عندما تشرق الغزالة ، أذهب إليه في شجاعة وأتحدث معه في جرأة ، وأدعوه باسمه في لهجة ودية وأسأله كيف قضى ليلته . وهكذا ترى أنه لم يشك فيما كان يحدث كل ليلة وهو نائم ما لم يكن بعيد النظر !

وأقبلت الليلة الثامنة ، وكنت أكثر حذراً في فتح الباب . كنت أسيطر على شعور الانتصار في قوة عجيبة وأنا أفكر في ذلك الكهل الذي يجهل ما الذي أفعله وما الذي أفكر فيه . وابتسمت ثم ضحكت . وسمعت حركة في الفراش . لعله سمعني أضحك فقام فزعاء ولعلك اعتقدت أني تراجعت . ولكن .. كلا ، فقد كانت الغرفة حالكة الظلام ولا يستطيع رؤيتي وأنا أفتح الباب . ولذلك ظللت أدفعه في انتظام . وأطللت برأسي . وكنت على وشك إضاءة المصباح عندما انزلقت يدي فأحدثت صوتاً . وهب الكهل من فراشه صائحاً « من هناك ؟ » ظللت ساكناً ولم أفه بكلمة . ومكثت ساعة كاملة دون أن تتحرك عضلة في جسمي . ولم أسمعه يرقد ثانية . كان لا يزال جالساً في فراشه يتسمع مثلما كنت أتسمع ليلة إثر أخرى .

ثم طرق أذني أنين خافت ، أنين من الرعب المميت . لم يكن أنين ألم أو شجن .. كلا ؛ كان صوتاً خافتاً مخنوقاً يرتفع من أعماق روح امتلأت رعباً ووجلا . وكنت أعرف ذلك الصوت جيداً ، وأدرك ما يشعر به الكهل ولذلك كنت أشفق عليه وأنا أقهقه من أعماق قلبي ! وتصورته راقداً مستيقظاً تزداد مخاوفه كلما تقلب على الفراش ، ويحاول أن يتغلب عليها وهو يوهم نفسه بأن ما حدث مجرد أوهام . وتخيلته يتحدث إلى نفسه قائلا « إنه حفيف الريح داخل المدخنة — إنه فأر صغير يعبر الغرفة » نعم ، كان يحاول أن يسري عن نفسه بشتى الافتراضات دون طائل . دون جدوى ، لأن الموت كان يقترب منه رويداً رويداً ويطارده بشبحه الأسود ، ويحيط به من كل جانب . وكان تأثير ذلك الشبح عليه هو الذي جعله يدرك وجودي داخل غرفته دون أن يراني أو يسمعني . وانتظرت وقتاً طويلا بصبر عجيب دون أن أسمعه يرقد . ثم عزمت على إضاءة المصباح قليلا قليلا جداً ، وخرجت شعاعة واحدة .. شعاعة كأنها خيط العنكبوت . خرجت من فتحة المصباح فسقطت على عين العقاب . كانت مفتوحة تماماً ، فصعق بي عصبي من رؤيتها ، وكانت واضحة أمامي بلونها الأزرق وغلالتها الشفافة ، فأصابتني رعدة شديدة تغلغلت في ذات نفسي حتى وصلت إلى عظامي . ولم أر من وجه الكهل أو جسمه سواها ،

وكأنها وجهت الشعاعة بشعور غريزي لا إرادي إلى تلك العين الملونة بالذات . ألم أخبرك أن ما تعتقده جنوناً ليس إلا أرهاف الحواس ؟ ثم وصل إلى سمعي صوت خافت سريع التردد كأنه صوت ساعة مغلفة بالقطن . فعرفت ذلك الصوت . إنه نبضات قلب الكهل ، فانتشطت غضباً وامتلأ قلبي غيظاً وحقداً . ومع ذلك ظللت ساكناً وحبست أنفاسي . وأمسكت بالمصباح دون أن أتحرك وقد سلطت الشعاعة على عينه . كانت ضربات قلبه تزداد وترتفع صوتها في سرعة غريبة . واستنتجت أن الكهل قد وصل رعبه إلى أقصاه . وارتفع الصوت ، وتعالى . ألم أخبرك أنني عصبي ؟ نعم ، لقد كنت في حالة عصبية شديدة . وولد ذلك الصوت في نفسي ، في ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وبين ذلك السكون المطبق الموحش ، ولد فيَّ شعوراً من الرعب لا يقاوم . ومع ذلك ظللت صامتاً ساكناً . وكانت الضربات تتعالى ثم تتعالى حتى خلت أن قلبه على وشك الانفجار . ثم تملكتني ثورة جديدة ! ألا يجوز أن يسمع الجيران ذلك الصوت ؟ إذن فقد حانت ساعة الكهل !

وصحت صيحة مدوية ، وأضأت المصباح ثم قفزت إليه . فصرخ صرخة واحدة ! وفي لحظة كنت قد سحبته إلى الأرض وألقيت فوقه الفراش . ثم ابتسمت في رضاء . لقد انجزت أخيراً مهمتي . وظل القلب ينبض في صوت مختنق لبضع دقائق ، وأخيراً صمت . لقد مات الكهل . وأزحت الفراش وفحصت الجثة . نعم كان ميتاً كالحجر . ووضعت يدي على موضع قلبه وتركتها لحظة . لم يكن هناك نبض . لقد مات حقاً ، ولن تعود عينه تضايقني بعد الآن . إذا كنت لا تزال تظن أني مجنون ، فإن ما قمت به من احتياطات وما فعلته لإخفاء الجثة سوف يبدد هذا الظن . كان الليل على وشك الرحيل فبذلت همة ونشاطاً ، وقمت بإنجاز العمل في سكون . قطعت أطراف الجثة ، ثم انتزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرض الغرفة ، وحفرت في موضعها ، ثم أخفيت الجثة فيها ، وأخيراً وضعت الألواح في مكانها وعادت الغرفة إلى ما كانت عليه .

كانت الساعة قد أشرفت على الرابعة عندما انتهيت من كل شيء ، وكان الظلام لا يزال مخيماً . وعندما دقت الساعة دقاتها سمعت صوت طرق على باب الدار ، فنزلت أفتح بقلب مطمئن — فما ذا يخيفني الآن ؟ وجاء ثلاثة من رجال الشرطة ، وشرحوا لي أن أحداً أبلغهم سماع صرخة صادرة من الدار . وابتسمت ، ما الذي يخيفني الآن ؟ ورحبت بهم ، وقلت إن الصرخة صدرت مني أثناء نومي وأنا أحلم . وأدعيت أن الكهل على سفر . وطلبت منهم أن يفتشوا الدار .. يبحثونها جيداً . وأخيراً أوصلتهم إلى غرفة الكهل . وأطلعتهم على ثروته دون أن يمسها أحد . كنت واثقاً من نفسي كل الثقة ، ولذلك أحضرت إليهم مقاعد وأجلستهم في الغرفة حتى يستريحوا من عناء البحث . وجلست أنا المنتصر في وقاحة على أحد المقاعد بعد أن وضعت على المكان الذي ترقد فيه الضحية . وكنت أجيب على أسئلتهم في سرور . وجعلوا يتحدثون ويثرثرون وأنا أستمع إليهم في رضاء . ولكن لم تمض فترة طويلة حتى شحب وجهي ، وآلمني رأسي وسمعت طنيناً في أذني ، فتمنيت عندئذ أن يرحلوا ، ولكنهم ظلوا جالسين يتجاذبون الحديث ، وعلا الطنين وازداد وضوحاً ، واستمر يتعالى ويتعالى . وارتفعت عقيرتي بالحديث حتى أتخلص من هذا الشعور المؤلم ، ولكن الطنين زاد وضوحاً ، فتيقنت أخيراً أنه لم يكن مبعثه أذني . ولم يكن هناك أدنى شك في أني كنت شاحب الوجه . ولذلك طفقت أتكلم في طلاقة وبصوت حاد ومع ذلك ارتفع الطنين . ما الذي أستطيع فعله ؟ لقد كان صوتاً مروعاً كأنه « صوت ساعة مغلفة في قطن ! » وأسرعت أنفاسي ونظرت إلى رجال الشرطة فظهر لي أنهم لم يسمعوا ذلك الطنين . وجعلت أهذي في حديثي وأثرثر وازداد صوتي حدة . ولكن الطنين كان يرتفع في انتظام . وقمت وتجادلت في شتى المواضيع التفهة بصوت عال وإيماءات متعددة ، ولكن ذلك الطنين كان يطغى على صوتي . وسألت نفسي لماذا لا يرحلون ؟ وذرعت الأرض جيئة وذهاباً بخطى ثقيلة . ولكن الصوت .. ذلك الصوت ! أواه .. يا الهي .. ما الذي أستطيع عمله ؟ وغلى مرجل غضبي ، وتمتمت وأقسمت وشتمت بالقمد على الأرض وصررت به على الألواح الخشبية . ولكن ذلك الصوت .. كان لا يزال يرتفع تدريجياً .. واستمر يتعالى في شدة .. في شدة .. في شدة ! وما زال الرجال يتحدثون ويمزحون ويتضاحكون . هل من المحتمل أنهم لا يسمعون شيئاً ! يا الهي ! كلا .. كلا ! لا بد أنهم سمعوه ! واشتبهوا ! وعرفوا ! إنهم يسخرون من رعبي ! ذلك ما ظننته وذلك ما أظنه . وما أفظعه من عذاب ! وما أبشعها من سخرية ! إني لا أستطيع احتمال هذه الابتسامات المنافقة بعد ذلك ! وشعرت أنه يجب علي أن أصرخ .. ولكن هذا الصوت كان يزداد وضوحاً .. وصرخت فيهم قائلا « أيها الأشرار انفضوا .. إني أعترف بارتكابي الجرم ! انزعوا الألواح هنا ! هنا ! هذا الصوت هو خفقان قلبه .. قلبه الواشي المختبيء هناك ! » .

محمد فتحي عبد الوهاب

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر في محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا :

قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة